مغامرات بوب وايت

ثورنتون دبليو برجس

مُغَامَرَاتُ بوب وايت

تأليف
ثورنتون دبليو برجس

ترجمة
رضوى محسن

مراجعة
مروة عبد الفتاح شحاتة

هنـــداوي

مُغَامَرَاتُ بوب وايت

ثورنتون دبليو برجس

The Adventures of Bob White

Thornton W. Burgess

الناشر مؤسسة هنداوي سي آي سي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

٣ هاي ستريت، وندسور، SL4 1LD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: http://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي سي آي سي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره،
وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

رسم الغلاف: حنان بغدادي.

الترقيم الدولي: ٧ ١٤٢٠ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة هنداوي سي آي سي.
يُمنَع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية، ويشمل ذلك التصوير الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مضغوطة أو استخدام أية وسيلة نشر أخرى، بما في ذلك حفظ المعلومات واسترجاعها، دون إذن خطي من الناشر.

Arabic Language Translation Copyright © 2018 Hindawi Foundation C.I.C.
The Adventures of Bob White/Thornton W. Burgess; this work is in the public domain.

المحتويات

١- طَائِرُ السُّمَّانِ السَّعِيدُ ٧
٢- بوب وايت يَسْتَقْبِلُ زَائِرِينَ ١١
٣- بوب وايت يُقَرِّرُ بِنَاءَ مَنْزِلٍ ١٥
٤- بوب وايت وَبيتر يَصِيرَانِ جَارَيْنِ ١٩
٥- آخَرُونَ مُهْتَمُّونَ بِبوب وايت ٢١
٦- دَهَاءُ بوب وايت وَزَوْجَتِهِ ٢٥
٧- بوب وايت يَكْتَشِفُ أَنَّ زَوْجَتَهُ عَلَى حَقٍّ ٢٩
٨- بوب يَخْدَعُ جِيرَانَهُ ٣١
٩- بيتر لَا يُصَدِّقُ مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ ٣٣
١٠- مُسْتَأْجِرُونَ جُدُدٌ لِلدَّغَلِ الْعَزِيزِ ٣٥
١١- تَوَخَّ الْحَذَرَ فِي خُطَاكَ! ٣٩
١٢- صِغَارُ بوب وايت فِي الْمَدْرَسَةِ ٤٣
١٣- ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَزْدَادُ فُضُولًا ٤٧
١٤- دَرْسٌ صَغِيرٌ فِي الْحِسَابِ ٥١
١٥- ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَشْعُرُ بِالسُّخْطِ ٥٣
١٦- ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُنَاقِشُ الْأَمْرَ ٥٧
١٧- يَوْمٌ مَشْئُومٌ ٥٩
١٨- الصَّيَّادُ الْمُحْبَطُ ٦١
١٩- خَائِفٌ وَمَجْرُوحٌ وَوَحِيدٌ ٦٣

٢٠- ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُعَبِّرُ عَنْ رَأْيِهِ ٦٥
٢١- مَاذَا حَدَثَ لِبوب وايت الصَّغِيرِ؟ ٦٩
٢٢- يَوْمٌ سَعِيدٌ لِعَائِلَةِ بوب وايت ٧١

الفصل الأول

طَائِرُ السُّمَّانِ السَّعِيدُ

بِصَفِيرٍ وَنَشِيدٍ يَسُرُّ
يَنْقَضِي شَقَاءُ الْيَوْمِ وَيَمُرُّ.

مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ، تَعَلَّمَ السُّكَّانُ الصِّغَارُ مِنْ ذَوِي الرِّيشِ بِالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ؛ هَذَا الْأَمْرَ؛ وَلِهَذَا السَّبَبِ كَثِيرًا مَا تَجِدُهُمْ يَصْدَحُونَ بِكُلِّ مَا أُوتُوا مِنْ قُوَّةٍ أَثْنَاءَ عَمَلِهِمْ بِجِدٍّ عَلَى بِنَاءِ مَنَازِلِهِمْ فِي الرَّبِيعِ. وَالْأَغْلَبِيَّةُ مِنْهُمْ يُجِيدُونَ الْغِنَاءَ، لَكِنَّ ثَمَّةَ وَاحِدًا بَيْنَهُمْ يُصَفِّرُ، يُطْلِقُ صَفِيرًا عَالِيًا وَمُبْهِجًا يَسُرُّ قُلُوبَ جَمِيعِ السَّامِعِينَ. كَثِيرًا مَا يَتَوَقَّفُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِيَرُدَّ عَلَيْهِ الصَّفِيرَ بِصَفِيرٍ، فَلَا يَخْذُلُهُ ذَلِكَ الطَّائِرُ أَبَدًا، فَيُعَاوِدُ الصَّفِيرَ مَرَّةً أُخْرَى.

كَانَ الطَّائِرُ صَاحِبُ الصَّفِيرِ جَمِيلَ الشَّكْلِ وَضَئِيلَ الْحَجْمِ، يَرْتَدِي حُلَّةً أَلْوَانُهَا تَتَرَاوَحُ بَيْنَ الْبُنِّيِّ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَيُدْعَى «بوب وايت»، وَكَانَ أَحْيَانًا يُدْعَى «طَائِرَ السُّمَّانِ» وَأَحْيَانًا أُخْرَى «طَائِرَ الْحَجَلَةِ»، وَلَكِنْ إِذَا سَأَلْتَهُ عَنِ اسْمِهِ، فَسَيُجِيبُكَ عَلَى الْفَوْرِ وَبِوُضُوحٍ أَنَّ اسْمَهُ «بوب وايت»، وَلَا يُجِيبُ مَنْ يَدْعُوهُ بِغَيْرِ ذَلِكَ الِاسْمِ. عَرَفَتْهُ جَمِيعُ الْكَائِنَاتِ الْأُخْرَى الصَّغِيرَةِ وَأَحَبَّتْهُ كَثِيرًا؛ أَحَبَّهُ الْكَثِيرُونَ بِسَبَبِ صَفِيرِهِ الْعَذْبِ، وَقِلَّةٌ أُخْرَى أَحَبَّتْهُ — مِثْلُ الثَّعْلَبِ ريدي وَالصَّقْرِ أحمر الذيل — لِمَا سَيُمَثِّلُهُ مِنْ طَعَامٍ شَهِيٍّ لَهُمْ إِذَا تَحَلَّوْا فَقَطْ بِقَدْرٍ مِنَ الذَّكَاءِ يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الْإِمْسَاكِ بِهِ.

أَحَبَّهُ كَذَلِكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، لَيْسَ فَقَطْ مِنْ أَجْلِ صَفِيرِهِ الَّذِي يَبْعَثُ عَلَى الْبَهْجَةِ، بَلْ أَيْضًا لِاكْتِشَافِهِ أَنَّ بوب وايت مِمَّنْ يَكُدُّونَ فِي عَمَلِهِمْ، وَهُوَ مِنْ أَمْهَرِ الْعَامِلِينَ فِي الْمَزْرَعَةِ

وَأَكْثَرِهِمْ عَوْنًا لَهُ. وَكَمَا تَعْلَمُونَ، فَإِنَّ جُزْءًا مِنْ مَهَامِّ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون هُوَ جَزُّ الْحَشَائِشِ الضَّارَّةِ وَالتَّخَلُّصُ مِنَ الْحَشَرَاتِ الَّتِي تَلْتَهِمُ الْمَحَاصِيلَ. تَخْرُجُ الْحَشَائِشُ مِنَ الْبُذُورِ، وَإِنِ اخْتَفَتْ بُذُورُ الْحَشَائِشِ، فَلَنْ تَنْمُوَ الْحَشَائِشُ، وَبِالْمِثْلِ إِنِ اخْتَفَى بَيْضُ الْحَشَرَاتِ، فَلَنْ تَخْرُجَ الْحَشَرَاتُ. لَكِنْ هُنَاكَ الْمَلَايِينُ وَالْمَلَايِينُ مِنْ بُذُورِ الْحَشَائِشِ وَبَيْضِ الْحَشَرَاتِ؛ وَلِذَلِكَ تَعَيَّنَ عَلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون قَضَاءُ الصَّيْفِ كُلِّهِ فِي مُكَافَحَةِ الْحَشَائِشِ الضَّارَّةِ وَالْحَشَرَاتِ. كَانَ يَشْعُرُ بِامْتِنَانٍ كَبِيرٍ لِقَاءَ أَيِّ مُسَاعَدَةٍ يَحْصُلُ عَلَيْهَا فِي هَذَا الْأَمْرِ، وَهَذَا أَحَدُ الْأَسْبَابِ الَّتِي جَعَلَتْهُ مُعْجَبًا بِالضِّفْدَعِ الْعَجُوزِ الَّذِي يُسَاعِدُهُ فِي الْحِفَاظِ عَلَى خُلُوِّ الْحَدِيقَةِ مِنَ الدُّودِ وَالْحَشَرَاتِ، وَكَذَلِكَ بِطَائِرِ الْقَرْقَفِ تومي وَغَيْرِهِ مِنَ الْكَائِنَاتِ الصَّغِيرَةِ ذَوَاتِ الرِّيشِ الَّتِي تَقْطُنُ الْبُسْتَانَ الْقَدِيمَ وَتَصْطَادُ الْحَشَرَاتِ وَبَيْضَهَا مِنْ بَيْنِ أَشْجَارِ التُّفَّاحِ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ مِنْ بَيْنِ السُّبُلِ الْمُؤَكَّدَةِ لِلْغَايَةِ لِاكْتِسَابِ الْأَصْدِقَاءِ مُسَاعَدَةَ الْآخَرِينَ.

لَمْ يَكُنْ بوب وايت يَتَغَذَّى فَقَطْ عَلَى الدُّودِ وَالْحَشَرَاتِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بُذُورَ الْحَشَائِشِ أَيْضًا، فَيَنْبُشُ الْأَرْضَ لِيُخْرِجَهَا مِنْ أَمَاكِنِ اخْتِبَائِهَا وَيَمْلَأَ حَوْصَلَتَهُ الصَّغِيرَةَ بِهَا حَتَّى يَشْبَعَ، ثُمَّ يُحَلِّقُ إِلَى أَقْرَبِ سِيَاجٍ وَيُخْبِرُ الْجَمِيعَ بِمَدَى سَعَادَتِهِ لِوُجُودِهِ فِي هَذَا الْعَالَمِ الْكَبِيرِ وَلِدَوْرِهِ الَّذِي يُؤَدِّيهِ. كَانَ بوب وايت مِنْ أَكْثَرِ سُكَّانِ الْغَابَةِ الصِّغَارِ عَوْنًا لِابْنِ الْمُزَارِعِ براون، فَكَانَ هُوَ وَزَوْجَتُهُ وَصِغَارُهُمَا يَعْمَلُونَ طَوَالَ النَّهَارِ، فَيَلْتَقِطُونَ بُذُورَ الْحَشَائِشِ وَالْحَشَرَاتِ مِنْ هُنَا وَهُنَاكَ فِي سَعَادَةٍ وَمَرَحٍ طَوَالَ الْوَقْتِ، حَتَّى إِنَّ كُلَّ كَائِنٍ فِي الْجِوَارِ يَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَالْمَرَحِ كَذَلِكَ. وَأَفْضَلُ مَا فِي الْأَمْرِ أَنَّ بوب وايت كَانَ يَبْدُو سَعِيدًا طَوَالَ الْوَقْتِ، وَقَدْ تَظُنُّ أَنَّهُ لَا يُوجَدُ شَيْءٌ يُثِيرُ مَخَاوِفَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ، غَيْرَ أَنَّهُ لَدَيْهِ مَا يُثِيرُ مَخَاوِفَهُ بِالْفِعْلِ، بَلْ لَدَيْهِ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَخَاوِفِ، كَمَا سَتَعْلَمُونَ فِيمَا بَعْدُ، لَكِنَّهُ لَا يَسْمَحُ أَبَدًا لِمَخَاوِفِهِ أَنْ تُعَكِّرَ صَفْوَهُ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ.

بوب وايت يَا بوب وايت!
يَا صَاحِبَ الصَّوْتِ الْعَذْبِ
صَفِّرْ بِكُلِّ طَاقَتِكَ
فَالْكُلُّ يُحِبُّ أُنْشُودَتَكَ.

وَذَاتَ يَوْمٍ، جَلَسَ الْأَرْنَبُ بيتر لِيَسْتَمِعَ إِلَى صَفِيرِهِ، فَتَذَكَّرَ أَنَّهُ لَمْ يَتَحَدَّثْ إِلَى طَائِرِ السُّمَّانِ بوب وايت مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ، وَتَذَكَّرَ كَذَلِكَ أَنَّ هُنَاكَ أُمُورًا عَدِيدَةً يَجْهَلُهَا عَنْ بوب وايت؛ فَقَرَّرَ أَنَّ عَلَيْهِ زِيَارَةَ بوب وايت فِي الْحَالِ وَإِشْبَاعَ فُضُولِهِ، وَانْطَلَقَ فِي طَرِيقِهِ بِوَثَبَاتٍ سَرِيعَةٍ.

الفصل الثاني

بوب وايت يَسْتَقْبِلُ زَائِرِينَ

أَنَا بوب وايت، أَنَا بوب وايت!
كَمْ أَبُثُّ فِي الْعَالَمِ مِنْ فَرَحٍ!
أَنَا بوب وايت أَنَا بوب وايت!
كَمْ أَنَّ صَوْتِي مَسْمُوعٌ وَمَرِحٌ!

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ ذَاتِهِ، كَانَ طَائِرُ السُّمَّانِ بوب وايت قَدْ قَرَّرَ فَجْأَةً أَنْ يَنْتَقِلَ لِلْعَيْشِ فِي مَكَانٍ لَا يَبْعُدُ كَثِيرًا عَنِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ حَيْثُ يَعِيشُ الْأَرْنَبُ بيتر، وَبِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ بيتر يَعْلَمُ أَنَّ بوب وايت قَدْ جَاءَ لِيَعِيشَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. وَفِي هَذَا الشَّأْنِ، لَا أَعْتَقِدُ أَنَّ بوب وايت نَفْسَهُ كَانَ يَعْلَمُ بِمَا يَنْوِي فِعْلَهُ؛ فَقَدْ صَادَفَ أَنَّهُ سَلَكَ ذَلِكَ الطَّرِيقَ وَرَاقَ لَهُ، فَقَرَّرَ فِي النِّهَايَةِ أَنْ يَبْحَثَ هُنَاكَ عَنْ مَكَانٍ لِيَبْنِيَ مَنْزِلَهُ.

كَانَ الْأَرْنَبُ بيتر يَعْرِفُ بوب وايت مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ، وَقَدِ الْتَقَى بيتر أَثْنَاءَ تَجْوَالِهِ بوب وايت عِدَّةَ مَرَّاتٍ، وَأَمْضَيَا الْوَقْتَ مَعًا، وَمَتَى تَسَنَّى لِبيتر سَمَاعُ صَفِيرِ بوب وايت عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْهُ، اعْتَادَ أَنْ يُنَادِيَ عَلَيْهِ؛ فَبوب وايت رَفِيقٌ مَرِحٌ، وَدَائِمًا مَا كَانَ يَشْعُرُ بيتر — بِطَرِيقَةٍ أَوْ بِأُخْرَى — أَنَّهُ أَفْضَلُ حَالًا إِذَا تَحَدَّثَ مَعَهُ، وَلِهَذَا السَّبَبِ عِنْدَمَا شَرَعَ بوب وايت فِي الصَّفِيرِ فِي صَبَاحِ ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنْ أَيَّامِ فَصْلِ الرَّبِيعِ، تَوَجَّهَ إِلَيْهِ بيتر مُسْرِعًا لِمُقَابَلَتِهِ. لَمْ يُضْطَرَّ بيتر لِلسَّيْرِ لِمَسَافَةٍ طَوِيلَةٍ؛ فَقَدْ كَانَ بوب وايت يَقِفُ عَلَى عَمُودِ سِيَاجٍ يَبْعُدُ قَلِيلًا عَنِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ.

قَالَ بيتر: «صَبَاحُ الْخَيْرِ. تَبْدُو سَعِيدًا جِدًّا هَذَا الصَّبَاحَ.»

أَجَابَهُ بوب وايت: «وَلِمَ لَا؟ أَنَا دَائِمًا سَعِيدٌ، فَهَذَا هُوَ السَّبِيلُ الْوَحِيدُ لِلتَّغَلُّبِ عَلَى صُعُوبَاتِ الْحَيَاةِ.»

رَدَّ بيتر: «لَا بُدَّ أَنَّكَ لَيْسَتْ لَدَيْكَ هُمُومٌ كَثِيرَةٌ؛ فَإِنْ كَانَ عَلَيْكَ الرَّكْضُ فِرَارًا لِلنَّجَاةِ بِحَيَاتِكَ مِثْلَمَا أُضْطَرُّ لِذَلِكَ كَثِيرًا، فَرُبَّمَا مَا وَجَدْتَ أَنَّ الشُّعُورَ بِالسَّعَادَةِ عَلَى الدَّوَامِ أَمْرٌ سَهْلٌ.»

لَمَعَتْ عَيْنَا بوب وايت الصَّغِيرَتَانِ وَقَالَ: «إِنَّ مُشْكِلَةَ أَغْلَبِ الْكَائِنَاتِ أَنَّهُمْ يَعْتَقِدُونَ أَنْ لَا أَحَدَ سِوَاهُمْ يَحْمِلُ هُمُومًا. هَا هُوَ الثَّعْلَبُ ريدي قَادِمٌ نَحْوَنَا، مَا سَبَبُ مَجِيئِهِ فِي رَأْيِكَ؟»

صَاحَ بيتر عَلَى الْفَوْرِ: «إِنَّهُ قَادِمٌ مِنْ أَجْلِي!» وَتَأَهَّبَ لِلرَّكْضِ نَحْوَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ.

قَالَ بوب وايت: «كَلَّا، لَيْسَ لِهَذَا السَّبَبِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، لَا تُعَظِّمْ مِنْ شَأْنِ نَفْسِكَ هَكَذَا يَا بيتر؛ فَالثَّعْلَبُ ريدي لَا يَعْلَمُ أَنَّكَ هُنَا الْبَتَّةَ. لَقَدْ سَمِعَ صَفِيرِي وَهُوَ قَادِمٌ كَيْ يُبَاغِتَنِي؛ إِنَّهُ قَادِمٌ مِنْ أَجْلِي أَنَا وَلَيْسَ مِنْ أَجْلِكَ أَنْتَ. لِمَ الْعَجَلَةُ يَا بيتر؟»

صَاحَ بيتر فِي قَلَقٍ: «أَنَا! أَظُنُّ أَنَّهُ يَجْدُرُ بِيَ الرَّحِيلُ الْآنَ، سَآتِي لِزِيَارَتِكَ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَمَا لَا يَكُونُ لَدَيْكَ زُوَّارٌ آخَرُونَ.»

وَمَا إِنْ وَصَلَ بيتر إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، حَتَّى كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي قَدْ وَصَلَ إِلَى عَمُودِ السِّيَاجِ حَيْثُ يَقِفُ بوب وايت. حَاوَلَ أَنْ يَتَحَدَّثَ بِصَوْتٍ لَطِيفٍ قَدْرَ اسْتِطَاعَتِهِ، قَالَ: «صَبَاحُ الْخَيْرِ، أَنَا سَعِيدٌ بِرُؤْيَتِكَ هُنَا، لَقَدْ سَمِعْتُ صَفِيرَكَ فَأَسْرَعْتُ إِلَى هُنَا لِلتَّرْحِيبِ بِكَ. أَتَمَنَّى أَنْ يَرُوقَ لَكَ الْمَكَانُ هُنَا حَتَّى تُقَرِّرَ أَنْ تَتَّخِذَ مِنْهُ بَيْتًا.»

رَدَّ بوب وايت وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ بِقُوَّةٍ: «هَذِهِ بَادِرَةٌ طَيِّبَةٌ لِلْغَايَةِ مِنْكَ.» فَقَدْ كَانَ بوب وايت يَدْرِي سَبَبَ رَغْبَةِ الثَّعْلَبِ ريدي فِي أَنْ يَبْنِيَ بوب بَيْتَهُ هُنَاكَ؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّ ريدي يَتَمَنَّى أَنْ يَعْثُرَ ذَاتَ يَوْمٍ عَلَى بَيْتِهِ لِيَنْعَمَ بِوَجْبَةٍ شَهِيَّةٍ مِنَ السُّمَّانِ. اسْتَأْنَفَ بوب وايت: «الْمَكَانُ جَمِيلٌ جِدًّا هُنَا، لَا أَدْرِي، رُبَّمَا سَأَمْكُثُ هُنَا؛ فَالْجَمِيعُ هُنَا يَبْدُونَ وَدُودِينَ؛ فَالْأَرْنَبُ بيتر أَتَى لِزِيَارَتِي تَوًّا.»

نَظَرَ ريدي حَوْلَهُ بَحْثًا عَنْ بيتر عَلَى نَحْوٍ مَاكِرٍ لِلْغَايَةِ وَفِي عَيْنَيْهِ نَظْرَةٌ مُتَعَطِّشَةٌ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ بيتر وَدُودٌ دَوْمًا. هَلْ هُوَ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنْ هُنَا؟ أَوَدُّ إِلْقَاءَ التَّحِيَّةِ عَلَيْهِ.»

أَجَابَ بوب وايت: «كَلَّا، لَقَدْ رَحَلَ فِي عُجَالَةٍ. مَرْحَبًا، هَا قَدْ حَضَرَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ! إِنَّ النَّاسَ هُنَا وَدُودُونَ حَقًّا. لِمَاذَا أَنْتَ عَلَى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِكَ يَا ريدي؟»

أَجَابَهُ ريدي وَهُوَ يَنْظُرُ فِي عُجَالَةٍ فِي اتِّجَاهِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ: «عَلَيَّ الْقِيَامُ بِبَعْضِ الْأُمُورِ الْمُهِمَّةِ فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ. أَتَمَنَّى رُؤْيَتَكَ كَثِيرًا يَا بوب وايت.»

رَدَّ بوب وايت فِي أَدَبٍ: «أَتَمَنَّى ذَلِكَ.» ثُمَّ أَضَافَ بِصَوْتٍ هَامِسٍ: «وَلَكِنْ أَتَمَنَّى أَنْ أَرَاكَ أَنَا أَوَّلًا.»

الفصل الثالث

بوب وايت يُقَرِّرُ بِنَاءَ مَنْزِلٍ

لَمْ تَخْتَلِفْ زِيَارَةُ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ لِبوب وايت عَنْ زِيَارَةِ الثَّعْلَبِ ريدي كَثِيرًا؛ فَقَدْ كَانَ سَعِيدًا لِلْغَايَةِ، وَأَخْبَرَ بوب وايت أَنَّهُ يَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ كَبِيرَةٍ بِالطَّبْعِ؛ لِأَنَّ بوب قَدْ حَضَرَ إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَيَتَمَنَّى أَنْ يَمْكُثَ هُنَا، وَكَانَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ غَايَةً فِي التَّهْذِيبِ، وَكَذَلِكَ كَانَ بوب، لَكِنَّ بوب لَمْ يَنْخَدِعْ بِالطَّبْعِ. كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَخْتَلِفُ عَنِ الثَّعْلَبِ ريدي؛ فَقَدْ شَعَرَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ بِالسَّعَادَةِ الْبَالِغَةِ لَدَى رُؤْيَةِ بوب؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْمُلُ فِي اصْطِيَادِهِ فِي يَوْمٍ مَا، وَلَكِنَّ بوب وايت لَمْ يَجْعَلْ شَيْئًا تَافِهًا كَهَذَا يُزْعِجُهُ؛ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِلْمُطَارَدَةِ مِنْ قَبْلُ، وَلِهَذَا السَّبَبِ اتَّخَذَ حِذْرَهُ بِالْوُقُوفِ فَوْقَ عَمُودِ السِّيَاجِ عِنْدَمَا يَشْرَعُ فِي الصَّفِيرِ؛ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ أَوِ الثَّعْلَبُ ريدي الْوُصُولَ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الْمُرْتَفِعِ. وَمَا إِنْ رَحَلَ الْقَيُّوطُ الْعَجُوزُ، حَتَّى رَأَى بوب وايت شَخْصًا آخَرَ مُتَّجِهًا نَحْوَهُ، وَلَكِنْ فِي هَذِهِ الْمَرَّةِ لَمْ يَنْتَظِرْ؛ فَقَدْ كَانَ الصَّقْرُ أحمر الذيل هُوَ مَنْ يَتَّجِهُ نَحْوَهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَمُودُ السِّيَاجِ مَكَانًا آمِنًا لِاسْتِقْبَالِهِ.

بَسَطَ بوب وايت جَنَاحَيْهِ وَحَلَّقَ إِلَى الْجِهَةِ الْأُخْرَى بِاتِّجَاهِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَهَبَطَ بَيْنَ ثِمَارِ الْعَلِيقِ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَانِ جُلُوسِ الْأَرْنَبِ بيتر، وَقَالَ لَهُ: «لَمْ تَتَوَقَّعْ أَنْ آتِيَ لِرَدِّ زِيَارَتِكَ بِهَذِهِ السُّرْعَةِ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا بيتر؟»

أَجَابَهُ بيتر: «بَلَى، وَلَكِنَّنِي فَرِحٌ لِلْغَايَةِ بِرُؤْيَتِكَ. هَلْ تَلَقَّيْتَ زِيَارَةً سَارَّةً مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي؟»

رَدَّ بوب وايت بِضِحْكَةٍ خَافِتَةٍ: «سَارَّةٌ لِلْغَايَةِ، لَقَدْ كَانَ سَعِيدًا جِدًّا لِرُؤْيَتِي شَأْنُهُ شَأْنُ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ، وَلَكِنَّنِي لَمْ أَنْتَظِرْ لِمَعْرِفَةِ مَا يَرْغَبُ الصَّقْرُ أحمر الذيل أَنْ يُخْبِرَنِي بِهِ، فَأَنَا أَشْعُرُ بِأَنَّهُ كَانَ يَوَدُّ الِاقْتِرَابَ مِنِّي أَكْثَرَ مِنَ اللَّازِمِ. أَتَرَى يَا بيتر أَنَّكَ لَسْتَ الشَّخْصَ الْوَحِيدَ الَّذِي يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ حَذِرًا وَيَقِظًا طَوَالَ الْوَقْتِ؟ فَهُنَاكَ كَثِيرُونَ يُطَارِدُونَنِي مِثْلَكَ، وَلَكِنَّنِي لَا أَدَعُ هَذَا الْأَمْرَ يُؤَثِّرُ عَلَى شُعُورِي بِالسَّعَادَةِ؛ فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَشْرَعُ فِي الصَّفِيرِ، أَعْلَمُ أَنَّ هُنَاكَ أَحَدًا قَادِمًا لِمُطَارَدَتِي، وَمَعَ ذَلِكَ لَا أَتَوَقَّفُ عَنِ الصَّفِيرِ. هَذَا مَا أَرْغَبُ فِي فِعْلِهِ، فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا تَحْوِيهِ الْحَيَاةُ مِنْ مَتَاعِبَ، فَبِهَا الْكَثِيرُ مِنْ أَشْكَالِ السَّعَادَةِ، وَتَسْتَحِقُّ أَنْ نَعِيشَهَا. وَالْآنَ لَدَيَّ سِرٌّ أَوَدُّ أَنْ أَبُوحَ لَكَ بِهِ.»

سَأَلَهُ بيتر فِي لَهْفَةٍ: «مَا هُوَ؟»

قَالَ بوب وايت آمِرًا: «عِدْنِي بِأَلَّا تَبُوحَ بِهِ لِأَيِّ أَحَدٍ.»

أَجَابَ بيتر: «أَلَا يَسَعُنِي إِخْبَارُ زَوْجَتِي بِهِ؟ فَكَمَا تَعْلَمُ، أَنَا لَا أُخْفِي عَنْهَا أَيَّ أَسْرَارٍ.»

قَالَ بوب: «حَسَنًا، يُمْكِنُكَ أَنْ تُخْبِرَهَا بِهِ إِذَا وَعَدَتْكَ بِكِتْمَانِ السِّرِّ.»

أَكَّدَ بيتر: «أَعِدُكَ بِذَلِكَ نِيَابَةً عَنْهَا وَعَنْ نَفْسِي. فَمَا السِّرُّ؟»

أَجَابَ بوب وايت: «لَقَدْ قَرَّرْتُ الِانْتِقَالَ لِلْعَيْشِ هُنَا.»

سَأَلَهُ بيتر بِحَمَاسٍ: «هُنَا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؟»

أَجَابَ بوب وايت: «كَلَّا، وَلَكِنْ لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ هُنَا. سَوْفَ أَعُودُ إِلَى الْمَرْعَى الْقَدِيمِ لِأَبْحَثَ عَنْ زَوْجَتِي، وَسَوْفَ نَبْنِي الْمَنْزِلَ عَلَى الْفَوْرِ.»

صَاحَ بيتر وَهُوَ يُصَفِّقُ بِيَدَيْهِ: «مَرْحَى! أَيْنَ سَتَبْنِيهِ؟»

أَجَابَ بوب وايت: «هَذَا الْقَرَارُ سَتَتَّخِذُهُ زَوْجَتِي.»

صَاحَ بيتر: «وَعِنْدَمَا تُقَرِّرُ، فَإِنَّكَ سَوْفَ تُطْلِعُنِي عَلَى مَكَانِهِ لِآتِيَ لِزِيَارَتِكَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

أَجَابَ بوب وايت: «لَيْسَ بِالضَّرُورَةِ، فَكَمَا تَعْلَمُ، إِنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْأُمُورِ مِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا تَعْرِفَهَا.»

رَدَّ بيتر: «كَلَّا، لَا أَرَى هَذَا؛ فَأَنَا صَدِيقُكَ وَلَا أَرَى أَيَّ ضَرَرٍ سَيَعُودُ عَلَيَّ إِذَا عَرَفْتُ مَكَانَ مَنْزِلِكَ.»

أَجَابَ بوب وايت: «فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ يَتَسَبَّبُ الْأَصْدِقَاءُ فِي أَشَدِّ الضَّرَرِ دُونَ قَصْدٍ، لَا سِيَّمَا إِذَا كَانُوا كَثِيرِي الْكَلَامِ. الطَّرِيقُ آمِنٌ الْآنَ، عَلَيَّ أَنْ أَتَعَجَّلَ فِي الْعَوْدَةِ إِلَى الْمَرْعَى الْقَدِيمِ لِأُطْلِعَ زَوْجَتِي عَلَى جَمَالِ الْمَكَانِ هُنَا.» وَحَلَّقَ بوب وايت بَعِيدًا.

تَمْتَمَ بيتر: «مَاذَا كَانَ يَقْصِدُ بِالْأَصْدِقَاءِ الْكَثِيرِي الْكَلَامِ؟ تُرَى هَلْ كَانَ يَقْصِدُنِي أَنَا؟!»

الفصل الرابع

بوب وايت وَبيتر يَصِيرَانِ جَارَيْنِ

مَنْ يَعْمَلْ بِكَدٍّ وَلَا يَتَدَخَّلْ فِي أَحْوَالِي
فَهُوَ مَنْ سَأَخْتَارُهُ لِيَصِيرَ دَوْمًا جَارِي.

هَذَا مَا وَجَدَهُ الْأَرْنَبُ بيتر فِي جَارِهِ بوب وايت. حَضَرَ بوب وايت وَزَوْجَتُهُ مِنَ الْمَرْعَى الْقَدِيمِ وَبَنَيَا مَنْزِلًا بِالْقُرْبِ مِنَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَا جَارَيْنِ لِلْأَرْنَبِ بيتر وَزَوْجَتِهِ. كَانَ بوب جَارًا وَدُودًا، كَثِيرًا مَا يَمُرُّ لِتَجَاذُبِ أَطْرَافِ الْحَدِيثِ مَعَ بيتر، وَدَائِمًا مَا يَشْعُرُ بيتر بِالسَّعَادَةِ لَدَى رُؤْيَتِهِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ بوب رَفِيقٌ يَبْعَثُ عَلَى الْبَهْجَةِ، حَتَّى إِنَّ بيتر دَوْمًا مَا كَانَ يَفْرَحُ بِوُجُودِهِ فِي الْجِوَارِ، وَهَذَا هُوَ الْحَالُ دَوْمًا مَعَ الْأَشْخَاصِ الْمَرِحِينَ؛ فَهُمْ يَبُثُّونَ السَّعَادَةَ مِثْلَمَا تَبُثُّ الشَّمْسُ نُورَهَا.

بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ بوب وايت وَزَوْجَتَهُ قَدْ بَنَيَا مَنْزِلَهُمَا بِجِوَارِ بيتر، لَمْ يَعْرِفْ بيتر مَكَانَ الْمَنْزِلِ تَحْدِيدًا. أَجَلْ، لَمْ يَكُنْ بيتر يَعْرِفُ أَيْنَ يَقَعُ مَنْزِلُ بوب وايت بِالضَّبْطِ؛ لَيْسَ لِأَنَّهُ لَمْ يُحَاوِلْ مَعْرِفَةَ مَكَانِ الْمَنْزِلِ، كَلَّا، فَلَمْ يَسْتَطِعْ بيتر كَبْحَ رَغْبَتِهِ فِي الْبَحْثِ عَنْ مَنْزِلِ بوب وايت مُطْلَقًا، وَكَانَ بَحْثُهُ هَذَا بِدَافِعِ الْفُضُولِ، وَقَدْ أَضَاعَ الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ فِي مُحَاوَلَةِ الْعُثُورِ عَلَى مَنْزِلِ بوب وايت دُونَ جَدْوَى. فِي بَادِئِ الْأَمْرِ شَعَرَ بيتر بِالِاسْتِيَاءِ كَثِيرًا؛ لِأَنَّ بوب وايت رَفَضَ إِطْلَاعَهُ عَلَى مَكَانِ مَنْزِلِهِ. اعْتَادَ بوب أَنْ يُخْبِرَ بيتر، وَهُوَ يَبْتَسِمُ، أَنَّ سَبَبَ رَفْضِهِ هُوَ أَنَّهُ يُقَدِّرُ بيتر كَثِيرًا وَأَرَادَ الْحِفَاظَ عَلَى صَدَاقَتِهِ إِلَى الْأَبَدِ.

قَالَ بيتر: «إِذَنْ، هَذَا يَدْفَعُنِي إِلَى التَّفْكِيرِ فِي أَنَّكَ سَتُخْبِرُنِي أَيْنَ يَقَعُ مَنْزِلُكَ؛ فَيَجِبُ أَلَّا تَكُونَ هُنَاكَ أَسْرَارٌ بَيْنَ الْأَصْدِقَاءِ؛ فَأَنَا لَا أُقَدِّرُ كَثِيرًا الصَّدَاقَةَ الَّتِي تَفْتَقِرُ إِلَى الثِّقَةِ.»

سَأَلَهُ بوب: «كَيْفَ سَيَكُونُ شُعُورُكَ يَا بيتر إِذَا أَصَابَنِي أَنَا أَوْ عَائِلَتِي مَكْرُوهٌ بِسَبَبِكَ؟»

صَاحَ بيتر: «سَأَشْعُرُ بِالاسْتِيَاءِ الشَّدِيدِ، وَلَكِنْ أَتَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَسْمَحُ بِحُدُوثِ مَكْرُوهٍ لَكُمْ؟ يَجِبُ أَنْ تَتَأَكَّدَ أَنَّنِي صَدِيقٌ مُخْلِصٌ.»

أَجَابَ بوب وايت بِجِدِّيَّةٍ: «كَلَّا، لَا أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَتَدَعُ مَكْرُوهًا يُصِيبُنَا إِنْ كُنْتَ عَلَى عِلْمٍ بِهِ، وَلَكِنَّكَ يَا بيتر لَدَيْكَ خِبْرَةٌ طَوِيلَةٌ فِي الْحَيَاةِ تُخَوِّلُ لَكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّ هُنَاكَ عُيُونًا تُرَاقِبُ، وَآذَانًا تَسْمَعُ، وَأُنُوفًا تَشَمُّ طَوَالَ الْوَقْتِ فِي كُلِّ مَكَانٍ. لِنَفْتَرِضْ أَنَّكَ أَتَيْتَ إِلَى مَنْزِلِي وَأَنْتَ مُطْمَئِنٌّ أَنْ لَا أَحَدَ يَرَاكَ، فِي حِينِ أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ بِالْفِعْلِ مَنْ يَرَاكَ، أَوْ لِنَفْتَرِضْ أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي تَتَبَّعَ أَثَرَكَ إِلَى مَنْزِلِي؛ لَنْ تَكُونَ مُذْنِبًا إِنْ حَدَثَ مَكْرُوهٌ لَنَا، وَلَكِنَّكَ سَتَكُونُ سَبَبَ حُدُوثِهِ. أَنْتَ تَذْكُرُ مَا قُلْتُهُ لَكَ ذَلِكَ الْيَوْمَ بِأَنَّ هُنَاكَ بَعْضَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنَ الْأَفْضَلِ أَلَّا تَعْرِفَهَا.»

بَدَا بيتر مُسْتَغْرِقًا فِي التَّفْكِيرِ، وَأَخَذَ يَشُدُّ شَوَارِبَهُ وَهُوَ يُقَلِّبُ الْأَمْرَ فِي رَأْسِهِ، وَقَالَ فِي النِّهَايَةِ: «هَذِهِ الْفِكْرَةُ جَدِيدَةٌ عَلَيَّ، لَمْ تَطْرَأْ لِي مِنْ قَبْلُ قَطُّ، أَنَا بِالطَّبْعِ لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَغْفِرَ لِنَفْسِي إِنْ حَدَثَ لَكُمْ أَيُّ شَيْءٍ بِسَبَبِي.»

قَالَ بوب وايت: «مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ أَنْ تَغْفِرَ لِنَفْسِكَ ذَلِكَ، مِثْلَمَا لَنْ أَسْتَطِيعَ أَنْ أَغْفِرَ لِنَفْسِي إِذَا حَدَثَ شَيْءٌ مَا لِعَائِلَتِي لِأَنَّنِي أَخْبَرْتُ أَحَدًا عَنْ مَكَانِ مَنْزِلِي.»

أَوْمَأَ بيتر بِرَأْسِهِ ثُمَّ سَأَلَهُ: «لَكِنَّكَ لَنْ تَغْضَبَ بِالطَّبْعِ إِذَا تَصَادَفَ فَحَسْبُ أَنْ «عَثَرْتُ» عَلَى مَنْزِلِكَ وَحْدِي، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

ضَحِكَ بوب وايت: «بَلَى بِالطَّبْعِ، وَلَكِنِّي أَنْصَحُكَ فِي الْوَقْتِ ذَاتِهِ بِأَلَّا «تُحَاوِلَ» الْعُثُورَ عَلَيْهِ؛ وَمِنْ ثَمَّ لَنْ يُزْعِجَكَ شَيْءٌ إِنِ اتَّبَعَكَ أَحَدٌ وَوَقَعَ مَكْرُوهٌ لِي أَوْ لِعَائِلَتِي؛ فَكَمَا تَعْلَمُ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِمَّنْ يَتَمَنَّوْنَ الْتِهَامِي مِثْلَكَ تَمَامًا، وَأَنَا أُفَضِّلُ الْوُقُوفَ وَالصَّفِيرَ عَلَى السِّيَاجِ عَلَى أَنْ أَمْلَأَ مَعِدَةَ أَحَدِهِمْ.»

صَرَّحَ بيتر: «وَأَنَا أَوَدُّ كَثِيرًا بَقَاءَكَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.»

الفصل الخامس

آخَرُونَ مُهْتَمُّونَ بِبوب وايت

وَلَمْ يَكُنِ الْأَرْنَبُ بيتر وَحْدَهُ مَنْ يَهْتَمُّ بِأَمْرِ بوب وايت وَمَنْزِلِهِ السِّرِّيِّ. أَجَلْ! بَدَا لِبيتر أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ يَحُومَانِ خِلْسَةً حَوْلَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ مُعْظَمَ الْوَقْتِ. فِي الْبِدَايَةِ لَمْ يَفْهَمِ الْأَمْرَ؛ وَذَاتَ صَبَاحٍ تَحَدَّثَ إِلَى نَفْسِهِ وَهُوَ يُرَاقِبُهُمَا: «إِنَّهُمَا لَمْ يَأْتِيَا مِنْ أَجْلِ مُطَارَدَتِي؛ فَهُمَا يُدْرِكَانِ جَيِّدًا أَنَّهُ لَيْسَ فِي وُسْعِهِمَا الْإِمْسَاكُ بِي هُنَا. وَلَمْ يَأْتِيَا أَيْضًا مِنْ أَجْلِ فَأْرِ الْمُرُوجِ داني؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَأْتِ مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ مُنْذُ وَقْتٍ طَوِيلٍ، وَلَيْسَ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَا هُنَا مِنْ أَجْلِ الْإِمْسَاكِ ببوب وايت؛ لِأَنَّهُ مِنَ الْمُسْتَبْعَدِ أَنْ يَنْزِلَ إِلَى الْأَرْضِ وَهُمَا بِالْجِوَارِ، وَهُمَا لَا يَسْتَطِيعَانِ الْإِمْسَاكَ بِهِ إِلَّا وَهُوَ عَلَى الْأَرْضِ.»

كَانَ بيتر مُنْشَغِلًا بِالتَّفْكِيرِ فِي مَعْرِفَةِ سَبَبِ مَجِيءِ الثَّعْلَبِ ريدي وَالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ أَغْلَبَ الْوَقْتِ إِلَى هَذَا الطَّرِيقِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَرَ أَوْ يَسْمَعِ الظَّرِبَانَ جيمي وَهُوَ يَتَسَلَّلُ خَلْفَهُ بِهُدُوءٍ.

قَالَ جيمي: «بُووو!» وَكَادَ بيتر يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْخَوْفِ.

سَأَلَهُ بيتر بِسُخْطٍ: «لِمَاذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ؟»

أَجَابَ جيمي بِابْتِسَامَةٍ وَاسِعَةٍ: «فَقَطْ لِأُعْطِيَكَ دَرْسًا أَنَّهُ يَجِبُ أَلَّا تَنَامَ دُونَ إِبْقَاءِ أُذُنَيْكَ مُتَيَقِّظَتَيْنِ.»

احْتَجَّ بيتر فِي غَضَبٍ: «لَمْ أَكُنْ نَائِمًا! كُنْتُ أُرَاقِبُ الثَّعْلَبَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ مُحَاوِلًا مَعْرِفَةَ مَا الَّذِي يَأْتِي بِهِمَا إِلَى هُنَا كَثِيرًا.»

أَجَابَ جيمي: «لَقَدْ بَدَوْتَ نَائِمًا كَذَلِكَ، وَلْنَفْتَرِضْ أَنَّنِي كُنْتُ ابْنَ عَمِّيَ ابْنَ الْعِرْسِ شادو.»

ارْتَجَفَ بيتر مِنَ الْفِكْرَةِ فِي حَدِّ ذَاتِهَا. أَكْمَلَ جيمي: «يَا بيتر، أَنْتَ مُحَنَّكٌ بِمَا يَكْفِي لِتَعْلَمَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْآمِنِ أَنْ تَنْشَغِلَ بِشَيْءٍ وَاحِدٍ؛ مِمَّا يَجْعَلُكَ تَنْسَى مُرَاقَبَةَ مَا حَوْلَكَ مِنْ أَشْيَاءَ أُخْرَى. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الثَّعْلَبِ ريدي وَالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ، فَيَجِبُ أَنْ تَعْلَمَ سَبَبَ حُضُورِهِمَا إِلَى هُنَا بِاسْتِمْرَارٍ.»

سَأَلَ بيتر: «وَمَا السَّبَبُ؟»

أَجَابَهُ جيمي عَلَى نَحْوٍ اسْتِفْهَامِيٍّ: «أَلَمْ يَبْنِ بوب وايت عُشًّا لَهُ فِي مَكَانٍ مَا بِالْقُرْبِ مِنْ هُنَا؟»

أَجَابَ بيتر بِبُطْءٍ: «بَلَى، أَعْتَقِدُ أَنَّهُ بَنَى عُشًّا بِالْفِعْلِ. وَلَكِنْ مَا الْغَرِيبُ فِي هَذَا؟»

رَدَّ جيمي: «أَيُّهَا الْأَحْمَقُ، الثَّعْلَبُ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة يَبْحَثَانِ عَنِ الْعُشِّ.»

حَدَّقَ بيتر فِي جيمي لِلَحْظَةٍ فِي حِيرَةٍ، ثُمَّ سَأَلَهُ أَخِيرًا: «مَا الَّذِي يُرِيدَانِهِ؟ إِنَّهُمَا لَا يَأْكُلَانِ الْبَيْضَ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

قَالَ جيمي: «إِنَّ الْبَيْضَ يُخْرِجُ طُيُورًا صَغِيرَةً، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ إِذَا عَثَرَ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ عَلَى الْعُشِّ؛ فَسَوْفَ يَنْتَظِرَانِ حَتَّى يُفْقَسَ الْبَيْضُ وَيَخْرُجَ الصِّغَارُ، وَبَعْدَهَا سَيَلْتَهِمَانِهَا؛ فَقَدْ سَمِعْتُ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَلَذُّ مِنْ صِغَارِ السُّمَّانِ. هَلْ فَهِمْتَ الْآنَ؟»

فَهِمَ بيتر الْأَمْرَ، بَلْ أَدْرَكَهُ جَيِّدًا. لَقَدْ سَمِعَ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ صَفِيرَ بوب وايت هُنَا كُلَّ يَوْمٍ، وَعَلِمَا أَنَّ هَذَا يَعْنِي أَنَّ مَنْزِلَهُ لَيْسَ بِبَعِيدٍ. لَقَدِ اتَّضَحَ كُلُّ شَيْءٍ الْآنَ.

سَأَلَهُ جيمي فِي تَهَوُّرٍ: «بِالْمُنَاسَبَةِ، أَنْتَ لَا تَعْرِفُ مَكَانَ الْعُشِّ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

صَاحَ بيتر فِي قُوَّةٍ: «بَلَى، لَا أَعْرِفُ!» وَفَجْأَةً شَعَرَ بِسَعَادَةٍ؛ لِأَنَّهُ يَجْهَلُ مَكَانَ الْعُشِّ، ثُمَّ سَأَلَ فِي شَكٍّ: «لِمَ تُرِيدُ أَنْ تَعْرِفَ؟»

أَقَرَّ جيمي صَرَاحَةً: «لِأَنَّنِي مُتَعَطِّشٌ لِتَنَاوُلِ بَعْضِ الْبَيْضِ.»

صَاحَ بيتر: «أَنْتَ لَنْ تَسْلُبَ بوب وايت وَزَوْجَتَهُ شَيْئًا مِنْ بَيْضِهِمَا، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ لَقَدْ كُنْتُ أُحْسِنُ الظَّنَّ بِكَ أَيُّهَا الظَّرِبَانُ جيمي.»

زَمْجَرَ جيمي وَقَالَ: «لَا تَنْفَعِلْ هَكَذَا يَا بيتر، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ زَوْجَةَ بوب وايت تَضَعُ الْكَثِيرَ مِنَ الْبَيْضِ، وَإِنْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا، فَلَنْ يَضِيرَهَا خَسَارَةُ الْقَلِيلِ مِنْهُ.»

صَاحَ بيتر: «أَنْتَ بَغِيضٌ أَيُّهَا الظَّرِبَانُ جيمي؛ هَذَا مُؤَكَّدٌ.»

رَدَّ جيمي: «لَا تَلُمْنِي. وَهَبَتْنِي الطَّبِيعَةُ اشْتِهَاءَ الْبَيْضِ، بِالضَّبْطِ كَمَا وَهَبَتِ الثَّعْلَبَ ريدي اشْتِهَاءَ الْأَرَانِبِ. أَنْتَ لَيْسَ لَدَيْكَ أَدْنَى فِكْرَةٍ عَنْ مَكَانِ الْعُشِّ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟»

هَتَفَ بيتر: «بَلَى، لَيْسَ لَدَيَّ، وَإِنْ كُنْتُ أَعْلَمُ مَكَانَهُ، مَا كُنْتُ سَأُخْبِرُكَ بِهِ.»

رَدَّ جيمي بِلُطْفٍ: «وَدَاعًا إِذَنْ، أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَأَبْحَثُ عَنْهُ. أَنَا لَا أَتَمَنَّى أَيَّ أَذًى لِبوب وايت وَزَوْجَتِهِ، وَلَكِنَّنِي فَقَطْ أَشْتَهِي بَيْضَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا مِنْ بَيْضِهِمَا.» وَبِهَذَا رَحَلَ الظَّرِبَانُ جيمي لِلْبَحْثِ عَنْ عُشِّ بوب وايت.

الفصل السادس

دَهَاءُ بوب وايت وَزَوْجَتِهِ

عِنْدَمَا أَحْضَرَ بوب وايت زَوْجَتَهُ إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ مِنَ الْمَرْعَى الْقَدِيمِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ الْجَمِيلِ، كَانَتْ مَسْرُورَةً كَمَا كَانَ يَتَمَنَّى. وَبِحِكْمَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْهُ لَمْ يُلَمِّحْ حَتَّى لِزَوْجَتِهِ بِأَنَّهُ يَرَى أَنَّ ذَلِكَ الْمَكَانَ هُوَ الْأَنْسَبُ لَهُمَا كَيْ يَبْنِيَا مَنْزِلَهُمَا؛ فَقَدْ عَلِمَ أَنَّهَا لَنْ تَشْعُرَ بِالرِّضَا أَبَدًا إِلَّا إِذَا شَعَرَتْ بِأَنَّهَا الَّتِي اخْتَارَتْ مَكَانَ مَنْزِلِهِمَا؛ لِذَلِكَ لَمْ يُلَمِّحْ بوب وايت مُطْلَقًا إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ يُفَكِّرُ فِيهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهَا بِمَدَى جَمَالِ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ الْقَرِيبَةِ مِنَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَتَرَكَهَا تَخْتَارُ الْمَكَانَ بِنَفْسِهَا.

كَانَتِ الزَّوْجَةُ الشَّابَّةُ مُتَلَهِّفَةً لِلْغَايَةِ لِلْبَدْءِ فِي تَدْبِيرِ شُئُونِ الْمَنْزِلِ الْجَدِيدِ. وَفَوْرَ وُصُولِهِمَا إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، قَرَّرَتْ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ هُوَ الْأَنْسَبُ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِبِنَاءِ الْمَنْزِلِ؛ أَوَّلًا: لِأَنَّهُ كَانَ فِي غَايَةِ الْجَمَالِ، وَزَوْجَةُ بوب كَانَتْ تُقَدِّرُ الْجَمَالَ. ثَانِيًا: لِأَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الطَّعَامِ الْمُتَوَافِرِ، وَهُوَ مِنْ أَهَمِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَجِبُ وَضْعُهَا فِي الِاعْتِبَارِ عِنْدَمَا يَكُونُ الْكَائِنُ عَلَى وَشْكِ أَنْ يَكُونَ لَدَيْهِ أَطْفَالٌ كَثِيرُونَ لِإِطْعَامِهِمْ. ثَالِثًا: لِأَنَّ هُنَاكَ الْعَدِيدَ مِنَ الْمَخَابِئِ. وَأَخِيرًا: لِأَنَّ الزَّوْجَةَ أَحَبَّتِ الْجِيرَانَ.

حَرَصَ بوب وايت عَلَى أَلَّا تَرَاهُ زَوْجَتُهُ مُتَحَمِّسًا لِاخْتِيَارِهَا، وَأَوْضَحَ لَهَا بِجِدِّيَّةٍ شَدِيدَةٍ حَقِيقَةَ أَنَّ الثَّعْلَبَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ وَالْقَيُّوطَ الْعَجُوزَ وَالصَّقْرَ أحمر الذيل سَوْفَ يَكْتَشِفُونَ قَرِيبًا أَنَّهُمَا يَعِيشَانِ هُنَاكَ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَسَيَكُونَانِ فِي خَطَرٍ طَوَالَ الْوَقْتِ، وَلَنْ يَنْعَمَا أَبَدًا بِرَاحَةِ الْبَالِ.

قَاطَعَتْهُ الزَّوْجَةُ: «لَنْ يَكُونَ الْوَضْعُ هُنَا مُخْتَلِفًا كَثِيرًا عَنِ الْمَرْعَى الْقَدِيمِ الَّذِي بَنَيْنَا فِيهِ مَنْزِلَنَا الْعَامَ الْمَاضِيَ. نَحْنُ نُدْرِكُ أَنَّهُ أَيْنَمَا نَبْنِ الْعُشَّ فَسَنَكُونُ فِي خَطَرٍ. إِنَّ الْأَمْرَ

هَكَذَا طَوَالَ الْوَقْتِ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ سَيَظَلُّ هَكَذَا دَائِمًا. لَقَدْ كُنَّا أَذْكِيَاءَ بِمَا يَكْفِي لِخِدَاعِ أَعْدَائِنَا مِنْ قَبْلُ، وَأَعْتَقِدُ أَنَّنَا يُمْكِنُنَا فِعْلُ ذَلِكَ مُجَدَّدًا. أَنَا لَا أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ عِنْدَمَا تَكُونُ أَنْتَ أَيْضًا لَا تَشْعُرُ بِالْخَوْفِ.»

قَالَ بوب عَلَى الْفَوْرِ إِنَّهُ لَيْسَ خَائِفًا؛ فَآخِرُ مَا يَرْغَبُهُ أَنْ تَشْعُرَ زَوْجَتُهُ بِأَنَّهُ خَائِفٌ. كَانَ يُوَضِّحُ لَهَا فَحَسْبُ طَبِيعَةَ الْمَخَاطِرِ حَتَّى لَا يَقَعَا فِي أَيِّ خَطَأٍ.

لَمْ تَسْمَعِ الزَّوْجَةُ نِصْفَ مَا كَانَ يَقُولُهُ لَهَا بوب وايت؛ فَقَدْ كَانَتْ مَشْغُولَةً لِلْغَايَةِ فِي الْبَحْثِ وَالتَّجَوُّلِ سَرِيعًا هُنَا وَهُنَاكَ، وَطَوَالَ الْوَقْتِ كَانَتْ تَسْتَخْدِمُ عَيْنَيْهَا الثَّاقِبَتَيْنِ الصَّغِيرَتَيْنِ فِي مُرَاقَبَةِ الْمَكَانِ. انْتَظَرَ بوب فِي صَبْرٍ وَعَيْنَاهُ تَلْمَعَانِ؛ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ عِنْدَمَا تُقَرِّرُ زَوْجَتُهُ أَمْرًا مَا، لَا تُفَكِّرُ فِي سِوَاهُ. بَعْدَ ذَلِكَ نَادَتْ عَلَيْهِ بِصَوْتٍ مُنْخَفِضٍ؛ وَمِنْ ثَمَّ طَارَ لِلَّحَاقِ بِهَا.

أَخْبَرَتْهُ: «سَوْفَ نَبْنِي الْمَنْزِلَ هُنَا.»

جَالَ بوب بِنَظَرِهِ فِي الْأَرْضِ فِي جِدِّيَّةٍ شَدِيدَةٍ، ثُمَّ سَأَلَهَا: «أَلَا تَرَيْنَ يَا عَزِيزَتِي أَنَّ الْمَكَانَ هُنَا قَرِيبٌ لِلْغَايَةِ مِنَ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُتَعَرِّجِ؟ لَقَدْ لَاحَظْتُ الثَّعْلَبَ ريدي وَالظَّرِبَانَ جيمي يَمُرَّانِ فِي ذَلِكَ الطَّرِيقِ كَثِيرًا، هَذَا فَضْلًا عَنِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.»

هَتَفَتِ الزَّوْجَةُ الشَّابَّةُ: «وَهَذَا مَا يَجْعَلُهُ أَكْثَرَ الْأَمَاكِنِ أَمْنًا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ أَيُّهَا الْأَحْمَقُ؛ فَهُمْ لَنْ يُفَكِّرُوا فِي الْبَحْثِ عَنْ مَنْزِلِنَا بِالْقُرْبِ مِنْ طَرِيقِ مُرُورِهِمْ؛ فَهَذِهِ الْحَشَائِشُ كَثِيفَةٌ وَسَوْفَ تُغَطِّي عُشَّنَا بِالْكَامِلِ، وَعَمُودُ السِّيَاجِ الْقَدِيمِ الْمُتَهَدِّمِ هَذَا سَوْفَ يُوَفِّرُ لَنَا حِمَايَةً كَبِيرَةً مِنْ أَحَدِ الْجَوَانِبِ، وَالدَّغَلُ الْعَزِيزُ قَرِيبٌ مِنَّا؛ وَمِنْ ثَمَّ يُمْكِنُنَا أَنْ نَصِلَ إِلَى هُنَاكَ إِنْ كُنَّا عَلَى عَجَلَةٍ، وَسَوْفَ نَكُونُ فِي أَمَانٍ تَامٍّ هُنَاكَ. تَذَكَّرْ كَلَامِي هَذَا يَا بوب وايت، لَنْ يُفَكِّرَ أَحَدٌ فِي الْبَحْثِ عَنْ عُشِّنَا هُنَا إِذَا عَقَلْتَ الْأُمُورَ وَقُمْتَ بِالصَّفِيرِ فِي مَكَانٍ بَعِيدٍ عَنْ هُنَا بِمَا يَكْفِي؛ سَوْفَ يَبْحَثُ الثَّعْلَبُ ريدي وَالْآخَرُونَ حَوْلَ الْمَكَانِ الَّذِي تُصَفِّرُ فِيهِ؛ وَلِهَذَا فَالْأَمْرُ مَرْهُونٌ بِكَ فِي جَعْلِ هَذَا الْمَكَانِ الْأَكْثَرَ أَمَانًا فِي الْعَالَمِ. هَلْ تَفْهَمُنِي؟»

أَجَابَ بوب فِي خُنُوعٍ: «نَعَمْ يَا عَزِيزَتِي، أَنْتِ فِي غَايَةِ الذَّكَاءِ وَالدَّهَاءِ. لَمْ أَكُنْ لِأُفَكِّرَ فِي اخْتِيَارِ مَكَانٍ مُمَاثِلٍ، وَلَكِنَّنِي أَعْتَقِدُ أَنَّكِ عَلَى حَقٍّ.»

رَدَّتِ الزَّوْجَةُ: «أَنَا وَاثِقَةٌ أَنَّنِي عَلَى حَقٍّ. الْآنَ عَلَيْكَ أَنْ تُحَلِّقَ إِلَى الْجِهَةِ الْأُخْرَى مِنَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ لِلصَّفِيرِ هُنَاكَ فِي الْوَقْتِ الَّذِي أَعْمَلُ فِيهِ أَنَا هُنَا، فَأَنَا مُتَحَمِّسَةٌ لِبَدْءِ الْعَمَلِ فِي الْحَالِ.»

نَظَرَ بوب إِلَى زَوْجَتِهِ الْبُنِّيَّةِ الصَّغِيرَةِ فِي إِعْجَابٍ، ثُمَّ انْطَلَقَ فِي حَذَرٍ مُخْتَبِئًا بَيْنَ الْحَشَائِشِ وَالْعُشْبِ حَتَّى ظَنَّ أَنَّ الْوَضْعَ آمِنٌ لِلتَّحْلِيقِ إِلَى الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَهُنَاكَ بَدَأَ يُصَفِّرُ بِكُلِّ طَاقَتِهِ.

الفصل السابع

بوب وايت يَكْتَشِفُ أَنَّ زَوْجَتَهُ عَلَى حَقٍّ

عَنِ الْخِلَافِ سَتَبْتَعِدُونَ
بِتَرْكِ الْآخَرِينَ يَفْعَلُونَ مَا يَشَاءُونَ.

وَسَتَجِدُ كَذَلِكَ أَنَّ الْآخَرِينَ عَلَى الْأَرْجَحِ مِثْلُكَ تَمَامًا مُحِقُّونَ. وَالْآنَ بَيْنَمَا كَانَ بوب وايت يُخْبِرُ زَوْجَتَهُ بِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا عَلَى حَقٍّ فِي اخْتِيَارِ ذَلِكَ الْمَكَانِ لِبِنَاءِ مَنْزِلِهِمَا، لَمْ يَكُنْ وَاثِقًا مِنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ؛ فَهُوَ مَا كَانَ لِيَخْتَارَ مَكَانًا كَهَذَا إِذَا تُرِكَ الْأَمْرُ لَهُ. أَجَلْ، لَمْ يَكُنْ لِيَخْتَارَ مَكَانًا كَهَذَا، كَانَ يَعْلَمُ عَلَى الْأَقَلِّ سِتَّةَ أَمَاكِنَ أُخْرَى يَرَى أَنَّهَا أَفْضَلُ وَأَكْثَرُ أَمَانًا، وَلَكِنْ فِي نِهَايَةِ الْأَمْرِ، سَيَكُونُ هَذَا مَنْزِلَ زَوْجَتِهِ أَكْثَرَ مِنْهُ مَنْزِلَهُ هُوَ؛ فَهِيَ مَنْ سَتَمْكُثُ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ طَوَالَ الْأَيَّامِ الطَّوِيلَةِ تَرْقُدُ عَلَى الْبَيْضِ الْأَبْيَضِ الْجَمِيلِ الَّذِي تَمَنَّى الْحُصُولَ عَلَيْهِ قَرِيبًا.

لِذَلِكَ احْتَفَظَ بوب بِآرَائِهِ لِنَفْسِهِ، وَبِالرَّغْمِ مِنْ قَلَقِهِ قَلِيلًا لِأَنَّ بَيْتَهُمَا الْجَدِيدَ كَانَ قَرِيبًا لِلْغَايَةِ مِنَ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُتَعَرِّجِ الَّذِي يَمُرُّ بِهِ مُعْظَمَ الْوَقْتِ الثَّعْلَبُ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ؛ لَمْ يَعْتَرِضْ بِكَلِمَةٍ، وَأَحْضَرَ نَصِيبَهُ مِنَ الْعُشْبِ وَالْقَشِّ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ لِبِنَاءِ الْعُشِّ. كَانَتْ زَوْجَةُ بوب دَقِيقَةً لِلْغَايَةِ فِي بِنَاءِ ذَلِكَ الْعُشِّ؛ فَالْعُشُّ التَّقْلِيدِيُّ الْمَفْتُوحُ لَنْ يَفِيَ بِالْغَرَضِ. رُبَّمَا خَمَّنَتِ الزَّوْجَةُ فِي رَأْسِهَا الصَّغِيرِ الْحَكِيمِ مَا دَارَ فِي عَقْلِ بوب، وَأَنَّهُ لَا يُحَبِّذُ بِنَاءَ الْعُشِّ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مُطْلَقًا؛ لِهَذَا صَنَعَتْ سَقْفًا صَغِيرًا أَوْ قُبَّةً مِنَ الْعُشْبِ وَالْقَشِّ فَوْقَ الْعُشِّ مَعَ مَدْخَلٍ صَغِيرٍ مِنْ جَانِبٍ وَاحِدٍ؛ وَبَعْدَ الِانْتِهَاءِ مِنَ الْعُشِّ تَمَامًا، بَدَا أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَى أَحَدٍ اكْتِشَافُهُ إِلَّا إِذَا كَانَ يَمْلِكُ نَظَرًا ثَاقِبًا لِلْغَايَةِ.

بِالطَّبْعِ كَانَ بوب فَخُورًا بِالْعُشِّ، شَدِيدَ الْفَخْرِ فِي الْوَاقِعِ. وَأَخْبَرَهَا: «عَزِيزَتِي، هَذَا أَفْضَلُ عُشٍّ قَدْ رَأَيْتُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. أَتَمَنَّى بِحَقٍّ أَلَّا يَعْثُرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ.»

نَظَرَتْ إِلَيْهِ الزَّوْجَةُ بِحِدَّةٍ وَسَأَلَتْهُ: «لِمَاذَا لَمْ تُقِرَّ بِأَنَّكَ تَرْغَبُ فِي بِنَائِهِ فِي مَكَانٍ آخَرَ؟»

بَدَتْ عَلَى بوب الْحَمَاقَةُ قَلِيلًا، وَاعْتَرَفَ قَائِلًا: «أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ التَّغَاضِيَ عَنِ التَّفْكِيرِ فِي خُطُورَةِ هَذَا الْمَكَانِ الشَّدِيدَةِ.» ثُمَّ أَضَافَ سَرِيعًا: «وَلَكِنَّنِي أَثِقُ جِدًّا فِي قَرَارِكِ يَا عَزِيزَتِي.»

رَدَّتِ الزَّوْجَةُ: «إِذَنْ عَلَيْكَ تَوَخِّي الْحَذَرِ عِنْدَمَا تَأْتِي مِنْ هَذَا الطَّرِيقِ، وَلَا تَأْتِ طَيْرًا إِلَى هُنَا مُبَاشَرَةً بِأَيِّ حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ. ابْقَ بَعِيدًا إِلَّا إِذَا نَادَيْتُكَ، وَعِنْدَمَا تَأْتِي حَلِّقْ فَوْقَ الْحَشَائِشِ الطَّوِيلَةِ هُنَاكَ، ثُمَّ تَوَارَ عَنِ الْأَنْظَارِ، وَسِرْ إِلَى هُنَا مُتَخَفِّيًا بَيْنَ الْأَعْشَابِ وَالْحَشَائِشِ.»

وَعَدَهَا بوب بِأَنَّهُ سَيَفْعَلُ مَا أَخْبَرَتْهُ بِهِ بِالضَّبْطِ، وَلِيُثْبِتَ لَهَا ذَلِكَ تَسَلَّلَ بَيْنَ الْحَشَائِشِ الطَّوِيلَةِ وَلَمْ يُحَلِّقْ بِجَنَاحَيْهِ حَتَّى أَصْبَحَ بَعِيدًا عَنِ الْعُشِّ، ثُمَّ طَارَ بَعِيدًا عَنِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ وَصَفَّرَ بِكُلِّ قُوَّتِهِ مِنْ فَرْطِ سَعَادَتِهِ.

لَمْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى أَصْبَحَ هُنَاكَ خَمْسَ عَشْرَةَ بَيْضَةً جَمِيلَةً فِي الْعُشِّ الْعُشْبِيِّ الْقَرِيبِ مِنَ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُتَعَرِّجِ؛ وَمِنْ ثَمَّ زَادَ قَلَقُ بوب. لَكَ أَنْ تَتَأَكَّدَ مِنْ ذَلِكَ؛ فَمَرَّاتٍ كَثِيرَةً رَأَى بوب وايت الثَّعْلَبَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ وَالظَّرِبَانَ جيمي يَمُرُّونَ سَرِيعًا عَبْرَ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُتَعَرِّجِ، وَعَرَفَ أَنَّهُمْ قَادِمُونَ إِلَى هُنَاكَ لِلْبَحْثِ عَنْ عُشِّهِ، لَكِنَّهُمْ لَمْ يُفَكِّرُوا قَطُّ فِي الْبَحْثِ بَيْنَ رُقْعَةِ الْعُشْبِ؛ فَلَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِمْ قَطُّ أَنَّ أَحَدَهُمْ سَوْفَ يَبْنِي الْعُشَّ عَلَى مَقْرُبَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَمُرُّونَ بِهِ كَثِيرًا، لَكِنَّهُمْ بَحَثُوا وَبَحَثُوا فِي كُلِّ الْأَمَاكِنِ الْأُخْرَى.

وَطَوَالَ الْوَقْتِ كَانَتْ زَوْجَةُ بوب تَرْقُدُ فَوْقَ ذَلِكَ الْبَيْضِ الْأَبْيَضِ، وَكَانَ لَوْنُ ثَوْبِهَا مُمَاثِلًا لِلْغَايَةِ لِلَوْنِ الْأَعْشَابِ الْبُنِّيِّ وَأَوْرَاقِ الشَّجَرِ؛ فَحَتَّى إِذَا نَظَرُوا إِلَيْهَا مُبَاشَرَةً، لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُحْتَمَلِ أَنْ يَرَوْهَا. وَمَعَ الْوَقْتِ، اعْتَرَفَ بوب بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ بِأَنَّ زَوْجَتَهُ كَانَتْ عَلَى حَقٍّ؛ فَقَدِ اخْتَارَتْ أَكْثَرَ الْأَمَاكِنِ أَمَانًا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ لِبِنَاءِ الْبَيْتِ. كَانَ أَكْثَرَهَا أَمْنًا؛ لِأَنَّهُ كَانَ آخِرَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي يَبْحَثُ فِيهَا أَيُّ أَحَدٍ. ثُمَّ أَصْبَحَ بوب أَقَلَّ قَلَقًا وَأَمْضَى وَقْتَ فَرَاغِهِ فِي خِدَاعِ الَّذِينَ يَبْحَثُونَ عَنْ مَنْزِلِهِ.

الفصل الثامن

بوب يَخْدَعُ جِيرَانَهُ

يُقَالُ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مَقْبُولٌ فِي الْحُبِّ وَالْحَرْبِ، هَكَذَا يَقُولُونَ.
لَا شَكَّ أَنَّ ذَلِكَ بَعِيدٌ عَنِ الصَّوَابِ، كَمَا تَرَوْنَ.
فَكَمْ مِنْ أَشْيَاءَ غَيْرِ مَقْبُولَةٍ يَفْعَلُونَ!

هَكَذَا الْأَمْرُ دَائِمًا عِنْدَمَا تَسُودُ الْكَرَاهِيَةُ، وَالْغَرِيبُ أَنَّهُ يَكُونُ كَذَلِكَ أَيْضًا عِنْدَمَا يَسُودُ الْحُبُّ؛ فَكَثِيرًا مَا يَتَسَبَّبُ الْحُبُّ فِي وُقُوعِ أَشْيَاءَ ظَالِمَةٍ؛ وَمِنْ ثَمَّ نُحَاوِلُ إِيجَادَ تَبْرِيرٍ لَهَا. لَكِنْ لَمْ يَرَ بوب وايت أَنَّ هُنَاكَ أَيَّ ظُلْمٍ فِي مُحَاوَلَتِهِ خِدَاعَ جِيرَانِهِ. كَلَّا الْبَتَّةَ، كَانَ يَقُومُ بِذَلِكَ مِنْ مُنْطَلَقِ الْحُبِّ وَالْحَرْبِ؛ فَكَانَ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِدَافِعِ حُبِّهِ لِزَوْجَتِهِ الشَّابَّةِ الْخَجُولِ وَلِبَيْتِهِمَا؛ وَكَذَلِكَ مِنْ مُنْطَلَقِ الْحَرْبِ الدَّائِرَةِ دَوْمًا فِي الْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ. بِالطَّبْعِ لَمْ يُطْلِقِ السُّكَّانُ الصِّغَارُ الَّذِينَ يَعِيشُونَ هُنَاكَ عَلَى مَا يَجْرِي حَرْبًا، وَلَكِنْ أَنْتَ تَعْلَمُ النَّحْوَ الَّذِي تَسِيرُ بِهِ الْأُمُورُ؛ فَدَائِمًا مَا يُحَاوِلُ السُّكَّانُ الْكِبَارُ الْإِمْسَاكَ بِالسُّكَّانِ الْأَصْغَرِ مِنْهُمْ، بَيْنَمَا حَاوَلَ السُّكَّانُ الصِّغَارُ التَّفَوُّقَ عَلَيْهِمْ بِالْحِيلَةِ.

لِهَذَا شَعَرَ بوب وايت أَنَّهُ مِنَ الْمُنْصِفِ وَالصَّحِيحِ تَمَامًا أَنْ يَخْدَعَ جِيرَانَهُ مِمَّنْ يُحَاوِلُونَ الْعُثُورَ عَلَى بَيْتِهِ. وَهَذَا مَا حَدَثَ بِالْفِعْلِ؛ اعْتَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى عَمُودِ السِّيَاجِ وَيُصَفِّرَ بِكُلِّ طَاقَتِهِ، لِيُخْبِرَ الْجَمِيعَ أَنَّهُ يَقِفُ هُنَاكَ. فِي الْوَقْتِ الرَّاهِنِ كَانَ يَرَى الثَّعْلَبَ ريدي يَعْدُو فِي نِهَايَةِ الطَّرِيقِ الصَّغِيرِ الْمُتَعَرِّجِ مُتَظَاهِرًا بِأَنَّهُ يَتَنَزَّهُ فَقَطْ وَلَيْسَ مُهْتَمًّا إِطْلَاقًا بِبوب وَشُئُونِهِ. ثُمَّ يَتَظَاهَرُ بوب بِأَنَّهُ يَنْظُرُ حَوْلَهُ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ خَطَرٍ قَرِيبٍ، ثُمَّ يَطِيرُ إِلَى مَكَانٍ مُحَدَّدٍ يَبْدُو مُلَائِمًا لِوُجُودِ عُشٍّ بِهِ، وَهُنَاكَ يَخْتَبِئُ بَيْنَ الْعُشْبِ.

وَفَوْرَ أَنْ يَتَوَارَى بوب عَنِ الْأَنْظَارِ، يَكْشِفُ الثَّعْلَبُ ريدي عَنِ ابْتِسَامَةٍ تَنِمُّ عَنِ الْخُبْثِ كَعَادَتِهِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: «هَذَا إِذَنْ هُوَ مَكَانُ عُشِّكَ! أَعْتَقِدُ أَنَّنِي سَوْفَ أُلْقِي نَظْرَةً هُنَاكَ.»

وَمِنْ ثَمَّ يَتَسَلَّلُ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي رَأَى بوب يَخْتَفِي فِيهِ، يَدُسُّ أَنْفَهُ الْحَادَّ دَاخِلَ كُلِّ كَوْمَةِ عُشْبٍ وَيَنْظُرُ أَسْفَلَ كُلِّ شُجَيْرَةٍ صَغِيرَةٍ. كَانَ بوب يَنْتَظِرُ حَتَّى سَمَاعِ وَقْعِ تِلْكَ الْخُطَى النَّاعِمَةِ عِنْدَمَا تَقْتَرِبُ مِنْهُ لِلْغَايَةِ، ثُمَّ يُرَفْرِفُ بِجَنَاحَيْهِ لِأَعْلَى مُحْدِثًا ضَجَّةً كَمَا لَوْ أَنَّهُ خَائِفٌ بِشِدَّةٍ، وَمِنْ فَوْقِ عَمُودِ سِيَاجٍ بَعِيدٍ يَبْدَأُ بِالصِّيَاحِ بِصَوْتٍ يَشُوبُهُ التَّوَتُّرُ الشَّدِيدُ؛ فَيَتَأَكَّدُ ريدي عِنْدَئِذٍ مِنْ أَنَّهُ اقْتَرَبَ مِنَ الْعُشِّ؛ وَمِنْ ثَمَّ يَبْحَثُ وَيَبْحَثُ. طَوَالَ الْوَقْتِ كَانَتْ زَوْجَةُ بوب تَرْقُدُ فَوْقَ بَيْضِهَا الثَّمِينِ فِي عُشِّهَا الَّذِي يَقَعُ بَيْنَ كَوْمَةِ الْأَعْشَابِ بِجَانِبِ الطَّرِيقِ الْمُتَعَرِّجِ الصَّغِيرِ، وَهِيَ تَضْحَكُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ وَهِيَ تَسْتَمِعُ إِلَى صَوْتِ بوب، فَكَمَا تَرَوْنَ، كَانَتْ تَدْرِي مَا يَفْعَلُهُ بوب تَمَامًا.

اتَّبَعَ بوب الْأُسْلُوبَ نَفْسَهُ مَعَ الظَّرِبَانِ جيمي وَالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ، بَلْ مَعَ الْأَرْنَبِ بيتر أَيْضًا؛ فَقَدْ كَانُوا جَمِيعًا لَا يَكُفُّونَ عَنِ الْبَحْثِ عَنْ ذَلِكَ الْعُشِّ، وَرَاقَبُوا بوب وايت وَكَانُوا عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ أَيْنَ يَبْحَثُونَ عَنْ بَيْتِهِ بِالضَّبْطِ، وَبَعْدَ ذَلِكَ يَتَعَجَّبُونَ لِمَاذَا لَا يَسْتَطِيعُونَ الْعُثُورَ عَلَيْهِ. أَرَادَ الظَّرِبَانُ جيمي تَنَاوُلَ بَعْضٍ مِنَ الْبَيْضِ، أَمَّا الثَّعْلَبُ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ، فَقَدْ أَرَادَا الْإِيقَاعَ بِالزَّوْجَةِ أَوْ الِاسْتِعْدَادَ لِالْتِهَامِ الصِّغَارِ عِنْدَمَا يُفْقَسُ الْبَيْضُ الْأَبْيَضُ الْجَمِيلُ، بَيْنَمَا أَرَادَ الْأَرْنَبُ بيتر مَعْرِفَةَ مَكَانِ الْعُشِّ فَقَطْ لِإِشْبَاعِ فُضُولِهِ، فَلَمْ يَكُنْ قَطُّ لِيَتَسَبَّبَ بِأَذًى لِزَوْجَةِ بوب أَوْ أَيٍّ مِنَ الْبَيْضِ. لَكِنَّ بوب كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ بيتر إِذَا عَرَفَ مَكَانَ الْعُشِّ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَزُورَهُ، وَقَدْ يُرَاقِبُهُ أَحَدُهُمْ، وَقَدْ يَنْتُجُ عَنْ ذَلِكَ وُقُوعُ شَيْءٍ مُرَوِّعٍ؛ لِذَلِكَ قَرَّرَ أَنَّهُ مِنَ الْأَفْضَلِ أَنْ يَخْدَعَ بيتر كَالْآخَرِينَ، وَهُوَ مُحِقٌّ فِي ذَلِكَ.

الفصل التاسع

بيتر لَا يُصَدِّقُ مَا تَرَاهُ عَيْنَاهُ

أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ نَرَاهَا بِأَعْيُنِنَا
لَكِنْ لَا تُصَدِّقُهَا عُقُولُنَا
فَنَبْقَى فِي حِيرَةٍ مِنْ أَمْرِنَا
هَلْ نُصَدِّقُ أَعْيُنَنَا أَمْ عُقُولَنَا؟

أَحْيَانًا تَسِيرُ الْأُمُورُ عَلَى هَذَا النَّحْوِ، فَنُشَاهِدُ أُمُورًا مُثِيرَةً لِلذُّهُولِ لِلْغَايَةِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهَا قَدْ تَبْدُو غَيْرَ حَقِيقِيَّةٍ. لَكَ أَنْ تَسْأَلَ الْأَرْنَبَ بيتر أَوْ زَوْجَتَهُ فَحَسْبُ؛ كِلَاهُمَا سَيُخْبِرُكَ أَنَّهُمَا وَجَدَا صُعُوبَةً شَدِيدَةً فِي تَصْدِيقِ مَا رَأَتْهُ عُيُونُهُمَا. فَمَا حَدَثَ كَالتَّالِي: عَلِمَ بيتر أَنَّ مَنْزِلَ بوب وايت فِي مَكَانٍ مَا بِالْقُرْبِ مِنَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ فَقَدْ أَخْبَرَهُ بوب وايت أَنَّهُ عَلَى مَقْرُبَةٍ مِنَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ بِالْفِعْلِ، وَلَمْ يَبْتَعِدْ بوب نَفْسُهُ كَثِيرًا عَنْ ذَلِكَ الْمَكَانِ قَطُّ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ لَدَى بيتر أَدْنَى شَكٍّ أَنَّ بوب وايت قَدْ أَخْبَرَهُ الْحَقِيقَةَ؛ فَفِي هَذَا الْوَقْتِ الرَّبِيعِيِّ الْجَمِيلِ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ سَيَظَلُّ يَحُومُ حَوْلَ مَكَانٍ وَاحِدٍ كُلَّ يَوْمٍ بَيْنَمَا الْجَمِيعُ مُنْشَغِلُونَ فِي تَدْبِيرِ شُئُونِ مَنَازِلِهِمْ، إِلَّا إِذَا كَانَ مَنْزِلُهُ قَرِيبًا جِدًّا.

كَانَ بيتر قَدْ بَحَثَ كَثِيرًا عَنْ مَنْزِلِ بوب وايت، وَلَكِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَجِدَ أَيَّ أَثَرٍ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. كَانَ يُرَاقِبُ بوب وايت، وَيَذْهَبُ إِلَى كُلِّ مَكَانٍ يَرَى فِيهِ بوب، وَلَكِنَّ بوب قَدْ نَجَحَ فِي الْحِفَاظِ عَلَى سِرِّهِ، وَلَمْ يَأْخُذْ بيتر عِبْرَةً مِمَّا حَدَثَ مِنْ قَبْلُ، وَقَدْ صَارَ أَنْحَفَ لِجَرْيِهِ كَثِيرًا هُنَا وَهُنَاكَ. حَاوَلَتْ زَوْجَةُ بيتر جَاهِدَةً إِقْنَاعَهُ بِأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِيهِ؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ،

فَهِمَتْ زَوْجَةُ بيتر رَغْبَةَ زَوْجَةِ بوب وايت فِي الْحِفَاظِ عَلَى سِرِّيَّةِ الْأَمْرِ؛ فَقَدْ مَرَّتْ زَوْجَةُ بيتر بِأَوْقَاتٍ عَصِيبَةٍ عِنْدَمَا كَانَ أَطْفَالُهَا فِي سِنٍّ صَغِيرَةٍ لِلْغَايَةِ.

اسْتَسْلَمَ بيتر فِي النِّهَايَةِ بِالْفِعْلِ، وَكَانَ هَذَا لِأَنَّهُ قَدْ بَحَثَ فِي كُلِّ مَكَانٍ خَطَرَ لَهُ، وَأَخِيرًا قَرَّرَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ حَقًّا بوب وايت يَمْلِكُ عُشًّا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ فَإِنَّهُ حَتْمًا لَيْسَ بِالْقُرْبِ مِنَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. وَفِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ حَدَثَ شَيْءٌ مُفَاجِئٌ؛ كَانَ بيتر عَلَى وَشْكِ الرَّكْضِ فِي اتِّجَاهِ الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ حِينَ صَاحَ أَحَدُهُمْ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ: «أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر، تَوَخَّ الْحَذَرَ وَأَنْتَ تَخْطُو بِقَدَمَيْكَ!»

تَوَقَّفَ بيتر فَجْأَةً وَنَظَرَ حَوْلَهُ لِيَرَى مَنْ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ، كَانَتْ زَوْجَةُ بوب وايت تَجْلِسُ تَحْتَ مَجْمُوعَةٍ مُتَشَابِكَةٍ مِنْ ثِمَارِ الْعَلِيقِ. تَفَاجَأَ بيتر؛ فَهُوَ لَمْ يَكُنْ قَدْ رَآهَا تَدْخُلُ الدَّغَلَ الْعَزِيزَ.

صَاحَ بيتر: «أُوهْ!» ثُمَّ انْحَنَى تَحِيَّةً لَهَا فِي أَدَبٍ وَقَالَ: «كَيْفَ حَالُكِ أَيَّتُهَا السَّيِّدَةُ بوب وايت؟ أَنَا سَعِيدٌ أَنَّكِ قَرَّرْتِ زِيَارَتَنَا، أَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ بوب وايت فِي أَفْضَلِ حَالٍ. أَنَا لَمْ أَرَهُ مُنْذُ بِضْعَةِ أَيَّامٍ، وَلَكِنَّنِي قَدْ سَمِعْتُ صَفِيرَهُ وَكَانَ يَبْدُو أَنَّهُ عَلَى خَيْرِ مَا يُرَامُ.»

أَجَابَتْ زَوْجَةُ بوب: «هُوَ بِخَيْرٍ.» ثُمَّ أَضَافَتْ فِي قَلَقٍ: «رَجَاءً يَا بيتر، تَوَخَّ الْحَذَرَ الشَّدِيدَ وَأَنْتَ تَخْطُو بِقَدَمَيْكَ.»

سَأَلَهَا بيتر وَهُوَ يَنْظُرُ فِي حِيرَةٍ أَسْفَلَ قَدَمَيْهِ: «لِمَاذَا؟ مَا الْخَطْبُ؟»

حِينَئِذٍ جَاءَتْ زَوْجَةُ بيتر عَلَى عَجَلٍ وَكَانَتْ قَدْ سَمِعَتْهُمَا يَتَحَدَّثَانِ. أَصْبَحَتْ زَوْجَةُ بوب أَكْثَرَ قَلَقًا مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَصَاحَتْ: «رَجَاءً يَا سَيِّدَتِي، تَوَخَّي الْحَذَرَ وَأَنْتِ تَخْطِينَ بِقَدَمَيْكِ.»

بَدَتْ زَوْجَةُ بيتر مُتَحَيِّرَةً كَزَوْجِهَا تَمَامًا، وَوَقْتَهَا فَقَطْ أَطْلَقَتْ زَوْجَةُ بوب وايت نِدَاءً لَطِيفًا وَهَادِئًا لِلْغَايَةِ، وَفِي الْحَالِ بَدَا لِبيتر وَزَوْجَتِهِ كَمَا لَوْ أَنَّ أَوْرَاقَ الشَّجَرِ الْبُنِّيَّةَ الَّتِي تَكْسُو أَرْضَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ دَبَّتْ فِيهَا الْحَيَاةُ وَبَدَأَتْ فِي الرَّكْضِ. كَادَتْ عَيْنَا بيتر أَنْ تَقْفِزَا مِنْ مَحْجِرَيْهِمَا، فَدَعَكَ عَيْنَيْهِ مَرَّتَيْنِ لِيَتَأَكَّدَ مِنْ أَنَّ مَا يَرَاهُ هُوَ فِعْلًا مَا يُفَكِّرُ فِيهِ. مَا هَذَا؟ يَا إِلَهِي! عَائِلَةٌ كَامِلَةٌ مِنَ الطُّيُورِ الصَّغِيرَةِ الطَّرِيفَةِ تُهَرْوِلُ بِأَقْصَى سُرْعَةٍ مُمْكِنَةٍ لِأَقْدَامِهِمُ الصَّغِيرَةِ نَحْوَ مَأْوَاهُمْ تَحْتَ جَنَاحَيْ أُمِّهِمْ زَوْجَةِ بوب وايت!

الفصل العاشر

مُسْتَأْجِرُونَ جُدُدٌ لِلدَّغَلِ الْعَزِيزِ

مَنْ كَانَ لِجِيرَانِهِ خَيْرَ جَارٍ
وَجَدَ السُّرُورَ وَرَاحَةَ الْبَالِ.

صَاحَتْ زَوْجَةُ بيتر وَهِيَ تُرَاقِبُ مَعَ زَوْجِهَا صِغَارَ بوب وايت وَهُمْ يَفِرُّونَ إِلَى جَنَاحَيْ أُمِّهِمْ أَسْفَلَ ثِمَارِ الْعَلِيقِ اللَّطِيفَةِ بِالدَّغَلِ الْعَزِيزِ: «وَاحِدٌ، اثْنَانِ، ثَلَاثَةٌ، أَرْبَعَةٌ ... يَا إِلَهِي! إِنَّهُمْ يَجْرُونَ بِسُرْعَةٍ شَدِيدَةٍ، لَا أَسْتَطِيعُ عَدَّهُمْ! كَمْ هُمْ رَائِعُونَ! أَنَا سَعِيدَةٌ لِلْغَايَةِ أَنَّكِ أَحْضَرْتِهِمْ إِلَيْنَا لِنَرَاهُمْ يَا سَيِّدَتِي. كَمْ عَدَدُهُمْ؟»

أَجَابَتْ زَوْجَةُ بوب وايت فِي اعْتِزَازٍ: «إِنَّهُمْ خَمْسَةَ عَشَرَ.»

صَاحَ بيتر: «يَا إِلَهِي! يَا لَهَا مِنْ عَائِلَةٍ كَبِيرَةٍ! أَنَا لَا أَدْرِي كَيْفَ تَسْتَطِيعِينَ مُرَاقَبَتَهُمْ كُلِّهِمْ، أَعْتَقِدُ أَنَّكِ فِي غَايَةِ الْقَلَقِ.»

اعْتَرَفَتْ زَوْجَةُ بوب وايت: «إِنَّهَا مَسْئُولِيَّةٌ كَبِيرَةٌ؛ وَلِهَذَا جَلَبْتُهُمْ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. أَتَمَنَّى أَلَّا تُمَانِعَ أَنْتَ وَالسَّيِّدَةُ زَوْجَتُكَ فِي أَنْ نَعِيشَ هُنَا لِبَعْضِ الْوَقْتِ، إِلَى أَنْ يَكُونُوا قَادِرِينَ عَلَى التَّحْلِيقِ؛ فَهَذَا هُوَ آمَنُ مَكَانٍ أَعْرِفُهُ.»

أَكَّدَ بيتر: «سَيُسْعِدُنَا كَثِيرًا وُجُودُكُمْ هُنَا. نَحْنُ لَا نَمْلِكُ الدَّغَلَ الْعَزِيزَ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّنَا عِشْنَا هُنَا لِفَتْرَةٍ طَوِيلَةٍ لِلْغَايَةِ، لِدَرَجَةِ أَنَّنَا نَكَادُ نَشْعُرُ أَنَّهُ مِلْكِيَّةٌ خَاصَّةٌ بِنَا. لَكِنْ بِالطَّبْعِ مِنْ حَقِّ أَيِّ أَحَدٍ أَنْ يَأْتِيَ لِلْعَيْشِ هُنَا مَا دَامَ يَرْغَبُ فِي ذَلِكَ. لَا أَعْلَمُ أَحَدًا يَرْغَبُ فِي الْعَيْشِ هُنَا سِوَى أَنْتِ وَأُسْرَتِكِ. بِالْمُنَاسَبَةِ، أَنَا لَا أَعْرِفُ كَيْفَ قَدْ قَطَعْتِ الْمَسَافَةَ إِلَى هُنَا مَعَ كُلِّ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ. هَلْ لِي أَنْ أَسْأَلَ مِنْ أَيْنَ أَتَيْتُمْ؟»

لَمَعَتْ عَيْنَا زَوْجَةِ بوب وَأَجَابَتْ: «بِالطَّبْعِ. لَمْ نَقْطَعْ مَسَافَةً طَوِيلَةً، جِئْنَا مُبَاشَرَةً مِنْ بَيْتِنَا هُنَا.»

سَأَلَ بيتر فِي لَهْفَةٍ: «أَيْنَ كَانَ بَيْتُكُمْ؟» فَكَمَا تَعْلَمُونَ، أَمْضَى بيتر وَقْتًا طَوِيلًا مُحَاوِلًا الْعُثُورَ عَلَى بَيْتِ عَائِلَةِ بوب وايت.

أَجَابَتْ زَوْجَةُ بوب: «بَيْتُنَا يَقَعُ هُنَاكَ فِي ذَلِكَ الْجُزْءِ الْعُشْبِيِّ الصَّغِيرِ بِجَانِبِ الطَّرِيقِ الْمُتَعَرِّجِ الصَّغِيرِ، أَتَرَى كَمْ كَانَ مِنَ السَّهْلِ الْوُصُولُ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؟»

قَالَ بيتر فِي شِبْهِ صِيَاحٍ: «مَاذَا؟! هَلْ تَعْنِينَ أَنَّكُمَا كُنْتُمَا تَعِيشَانِ فِي تِلْكَ الْمِنْطَقَةِ الْقَرِيبَةِ لِلْغَايَةِ طَوَالَ الْوَقْتِ؟!»

أَوْمَأَتْ زَوْجَةُ بوب بِرَأْسِهَا: «بِالتَّأْكِيدِ، لَقَدْ كُنْتُ هُنَاكَ طَوَالَ الْوَقْتِ حَيْثُ تَسَنَّتْ لِي رُؤْيَتُكَ كُلَّ يَوْمٍ وَأَنَا أَرْقُدُ عَلَى الْبَيْضِ.»

بَدَا بيتر كَمَا لَوْ أَنَّهُ لَا يَسَعُهُ تَصْدِيقُ الْأَمْرِ بَعْدُ وَقَالَ: «لَكِنْ كَيْفَ جَرُؤْتُمَا عَلَى الْإِقَامَةِ فِي مَكَانٍ خَطِيرٍ كَهَذَا؟ فَقَدْ كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي وَالْجَدَّةُ ثعلبة الْعَجُوزُ يَمُرَّانِ بِالْقُرْبِ مِنْكُمَا بِمَسَافَةٍ قَلِيلَةٍ كُلَّ يَوْمٍ! لَمْ أَسْمَعْ قَطُّ عَنْ شَيْءٍ بِهَذَا الْجُنُونِ!»

رَدَّتْ زَوْجَةُ بوب وايت: «لَقَدْ كَانَ الْبَيْتُ فِي أَكْثَرِ الْأَمَاكِنِ أَمَانًا فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ. أَعْتَقِدُ أَنَّكَ قَدْ تَعَلَّمْتَ الْآنَ أَيُّهَا الْأَرْنَبُ بيتر أَنَّ أَكْثَرَ مَكَانٍ آمِنٍ لِلِاخْتِبَاءِ هُوَ ذَلِكَ الَّذِي لَنْ يَبْحَثَ فِيهِ أَحَدٌ، وَالدَّلِيلُ عَلَى هَذَا يَتَمَثَّلُ فِي وُجُودِ صِغَارِي أَمَامَكَ. كَمْ هُمْ فَاتِنُونَ! رَقَدْتُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ وَأَنَا أُشَاهِدُكَ أَنْتَ وَالثَّعْلَبَ ريدي وَالْجَدَّةَ ثعلبة الْعَجُوزَ وَالظَّرِبَانَ جيمي تَبْحَثُونَ عَنِّي؛ الْأَمْرُ الَّذِي أَضْحَكَنِي كَثِيرًا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي. كُنْتُ أَعْلَمُ أَنْ لَا أَحَدَ مِنْكُمْ سَيَتَصَوَّرُ أَنَّنِي حَكِيمَةٌ لِدَرَجَةِ الْحَمَاقَةِ حَتَّى أَبْنِيَ بَيْتِي فِي مَكَانٍ يَسْهُلُ الْعُثُورُ عَلَيْهِ لِلْغَايَةِ؛ وَمِنْ ثَمَّ لَنْ تَبْحَثُوا فِيهِ عَنِّي، وَكُنْتُ عَلَى حَقٍّ.»

ابْتَسَمَتْ زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر وَأَكَّدَتْ: «لَقَدْ كُنْتِ عَلَى حَقٍّ. إِنَّ هَذَا أَذْكَى مَا سَمِعْتُهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ يَا عَزِيزَتِي. إِنْ لَمْ يَشْعُرْ بيتر بِحَمَاقَتِهِ بِالْفِعْلِ، فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ. لَقَدْ أَخْبَرْتُهُ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ مَعْرِفَةُ مَكَانِ بَيْتِكُمَا، لَكِنَّهُ كَانَ شَدِيدَ الْفُضُولِ، وَظَلَّ يَبْحَثُ عَنْهُ، وَكُلَّ هَذَا الْوَقْتِ وَهُوَ كَانَ بِالْقُرْبِ مِنَّا! أَلَا تَشْعُرُ بِالْحَمَاقَةِ يَا بيتر؟»

رَدَّ بيتر فِي خُنُوعٍ: «بَلَى يَا عَزِيزَتِي، أَشْعُرُ أَنَّنِي أَحْمَقُ بِالْفِعْلِ. وَلَكِنِ الْآنَ بَعْدَ أَنْ عَرَفْتُ مَكَانَهُ، فَأَنَا أَشْعُرُ بِالرِّضَا، وَسَعِيدٌ كَذَلِكَ أَنَّ السَّيِّدَةَ بوب وايت قَدْ أَحْضَرَتْ عَائِلَتَهَا لِتَعِيشَ فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ. أَعْتَقِدُ أَنَّ مِنَ الْمُمْتِعِ لِلْغَايَةِ مُشَاهَدَةَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ وَهُمْ يَكْبُرُونَ، وَلَا يَسَعُنِي سِوَى التَّفْكِيرِ فِي أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ هُوَ أَكْثَرُ أَمَانًا مِنْ بَيْتِهِمُ الَّذِي قَدْ تَرَكُوهُ لِلتَّوِّ.»

أَجَابَتْ زَوْجَةُ بوب وايت: «لِهَذَا أَحْضَرْتُهُمْ إِلَى هُنَا. عِنْدَمَا كَانُوا بَيْضًا، كَانَ ذَلِكَ الْمَكَانُ آمَنَ مَكَانٍ لَهُمْ، وَلَكِنِ الْآنَ وَقَدْ خَرَجُوا مِنَ الْبَيْضِ وَيَسْتَطِيعُونَ الرَّكْضَ هُنَا وَهُنَاكَ، فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونُوا فِي أَمَانٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ. كَمَا أَنَّنِي أَتَوَقَّعُ بِالْفِعْلِ أَنَّهُ لَنْ يَمُرَّ وَقْتٌ طَوِيلٌ حَتَّى يُرِيدُوا الْخُرُوجَ لِلْعَالَمِ؛ وَمِنْ ثَمَّ سَتَبْدَأُ هُمُومِي حَقًّا. إِنَّ تَرْبِيَةَ عَائِلَةٍ كَبِيرَةٍ مَسْئُولِيَّةٌ ضَخْمَةٌ.»

أَكَّدَتْ زَوْجَةُ بيتر: «إِنَّهَا كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ.»

الفصل الحادي عشر

تَوَخَّ الْحَذَرَ فِي خُطَاكَ!

تَوَخَّ الْحَذَرَ فِي خُطَاكَ! انْظُرْ أَمَامَكَ أَوَّلًا وَاطْمَئِنَّ.
فَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَذِرًا، فَسَتَزِلُّ قَدَمُكَ وَمِنَ الْآلَامِ سَتَئِنُّ.

لَمْ يَكُنِ الْأَرْنَبُ بيتر هَكَذَا مِنْ قَبْلُ، لَمْ يَكُنْ يَخْشَى أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَوَخَّ الْحَذَرَ فَسَيَنْتَهِي أَمْرُهُ، وَلَنْ يَعُودَ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ بِأَيِّ حَالٍ، لَكِنَّهُ الْآنَ يَشْعُرُ بِالْخَوْفِ، بَلْ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ؛ فَقَدْ كَانَ يَخْشَى أَنْ يَنْتَهِيَ أَمْرُ أَيٍّ مِنْ صِغَارِ بوب وايت. بَدَا لِبيتر أَنَّهُمْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ عَلَى الدَّوَامِ؛ مِمَّا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالتَّوَتُّرِ؛ فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ يَتَحَرَّكُ قَلِيلًا كَانَتْ زَوْجَةُ بوب وايت أَوْ زَوْجَتُهُ تَصِيحُ: «تَوَخَّ الْحَذَرَ فِي خُطَاكَ يَا بيتر!» أَوْ «لَا تَطَأْ بِقَدَمَيْكَ أَحَدًا مِنَ الصِّغَارِ!»

لِذَا كُلَّمَا تَحَرَّكَ بيتر نَظَرَ حَوْلَهُ بِدِقَّةٍ حَتَّى يَتَأَكَّدَ مِنْ عَدَمِ وُجُودِ أَيِّ طَائِرٍ بُنِّيٍّ صَغِيرٍ مُخْتَبِئٍ تَحْتَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْبُنِّيَّةِ؛ فَكَمَا تَعْلَمُونَ، هُوَ لَنْ يَطَأَ بِقَدَمَيْهِ فَوْقَ أَحَدٍ مِنَ الصِّغَارِ مَهْمَا حَدَثَ. لَكِنْ حَقًّا لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ نِصْفُ الْأَخْطَارِ الَّتِي كَانَتْ تَتَصَوَّرُهَا أُمُّهُمُ الْحَنُونُ، فَكَانَ صِغَارُ بوب وايت فِي غَايَةِ النَّشَاطِ وَالذَّكَاءِ كَذَلِكَ. لَكِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ كَيْفَ تَسِيرُ الْأُمُورُ مَعَ الْأُمَّهَاتِ؛ إِذْ يَبْدُو أَنَّهُنَّ يَتَوَقَّعْنَ دَائِمًا حُدُوثَ شَيْءٍ مُرِيعٍ لِصِغَارِهِنَّ؛ لِذَلِكَ كَانَ بيتر يَسْمَعُ الْعِبَارَةَ التَّحْذِيرِيَّةَ: «تَوَخَّ الْحَذَرَ فِي خُطَاكَ!» عِشْرِينَ مَرَّةً فِي الْيَوْمِ.

وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ سَعِيدًا أَنَّ أُسْرَةَ بوب وايت قَدِ انْتَقَلَتْ لِلْعَيْشِ إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ فَقَدْ أَتَاحَ ذَلِكَ لَهُ فُرْصَةً لَا مَثِيلَ لَهَا لِمَعْرِفَةِ الْمَزِيدِ عَنْ بوب وايت وَأَطْفَالِهِ. فَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ بيتر كَانَ شَغُوفًا دَائِمًا بِالِاطِّلَاعِ عَلَى الْأُمُورِ، لَا سِيَّمَا أُمُورُ الْغَيْرِ. بَدَا لِبيتر أَنَّهُ لَمْ

يَرَ قَطُّ صِغَارًا يَكْبُرُونَ مِثْلَ صِغَارِ بوب وايت، وَقَدِ انْتَشَرُوا فِي كُلِّ مَكَانٍ، كَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ، وَكَانَ بيتر كَثِيرًا مَا يَتَسَاءَلُ كَيْفَ يَتَسَنَّى لِأُمِّهِمْ مُرَاقَبَتُهُمْ جَمِيعًا عَلَى أَيِّ حَالٍ، وَلَكِنَّهَا كَانَتْ تُرَاقِبُهُمْ جَمِيعًا بِالْفِعْلِ. كَمَا أَنَّهُ لَاحَظَ شَيْئًا؛ وَهُوَ أَنَّهُمْ يُطِيعُونَهَا فَوْرَ أَنْ تُنَادِيَ عَلَيْهِمْ. إِذَا حَلَّقَ الصَّقْرُ أحمر الذيل فِي بُطْءٍ فَوْقَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ لِيُرَاقِبَ بِعَيْنَيْهِ الثَّاقِبَتَيْنِ أَيَّ شَيْءٍ يَحْدُثُ فِي الْأَسْفَلِ وَلَا يَعْرِفُهُ؛ كَانَتْ زَوْجَةُ بوب تُصْدِرُ إِنْذَارًا لِلصِّغَارِ، فَكَانَ يَجْثُمُ كُلٌّ مِنْهُمْ حَيْثُ كَانَ وَلَا يَتَحَرَّكُ حَتَّى تُخْبِرَهُ الْأُمُّ بِذَلِكَ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَشُكَّ الصَّقْرُ أحمر الذيل وَلَوْ لِمَرَّةٍ أَنَّ عَائِلَةَ بوب وايت كَانَتْ هُنَاكَ. عِنْدَمَا كَانَتْ زَوْجَةُ بوب تُنَادِي عَلَى الصِّغَارِ، كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْهَا فِي عَجَلَةٍ عَلَى الْفَوْرِ، وَكَانَ مِنَ الْجَمِيلِ مُشَاهَدَةُ هَذِهِ الطَّاعَةِ.

وَبَعْدَهَا، عِنْدَمَا يَسْتَقِرُّ جَمِيعُ الصِّغَارِ تَحْتَ جَنَاحَيِ الْأُمِّ، كَانَتْ تُخْبِرُهُمْ عَنِ الْعَالَمِ الْكَبِيرِ وَالْمَخَاطِرِ الَّتِي عَلَيْهِمُ الْحَذَرُ مِنْهَا عِنْدَمَا يَكْبُرُونَ بِمَا يَكْفِي وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْعَالَمِ، وَكَذَلِكَ كَيْفَ يُمْكِنُ لَهُمْ أَنْ يَلْتَقِيَ كُلٌّ مِنْهُمْ بِالْآخَرِ. أَثْنَاءَ جَرْيِ الصِّغَارِ هُنَا وَهُنَاكَ دَاخِلَ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، كَانُوا يَلْتَقِطُونَ الْحُبُوبَ الصَّغِيرَةَ. لَمْ يَكُنْ بيتر يَتَصَوَّرُ وُجُودَ هَذَا الْكَمِّ مِنَ الْحُبُوبِ الَّتِي عَثَرَ عَلَيْهَا هَؤُلَاءِ الصِّغَارُ. فَبيتر لَا يَأْكُلُ الْحُبُوبَ الصَّغِيرَةَ؛ وَلِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ قَدْ لَاحَظَهَا مِنْ قَبْلُ. كَانَتْ زَوْجَةُ بوب وايت تَتَقَدَّمُهُمْ أَثْنَاءَ التَّجَوُّلِ فِي الْأَنْحَاءِ لِتُرِيَهُمُ الْحُبُوبَ الْجَيِّدَةَ وَالْحُبُوبَ الَّتِي يَجِبُ تَرْكُهَا، وَكَانُوا يُدْرِكُونَ الْأَمْرَ مِنَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. وَفِي الْعَادَةِ كَانُوا يُنَوِّعُونَ طَعَامَهُمْ بِالْتِقَاطِ الْحَشَرَاتِ الصَّغِيرَةِ مِنَ الْأَوْرَاقِ الدَّانِيَةِ الْمُتَدَلِّيَةِ، وَمِنْ وَقْتٍ لِآخَرَ كَانَ يَنْشَبُ نِزَاعٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مِنَ الصِّغَارِ مِنْ أَجْلِ الِاسْتِحْوَاذِ عَلَى دُودَةٍ. كَانَ بيتر دَائِمًا يُحِبُّ مُشَاهَدَةَ ذَلِكَ؛ فَقَدْ كَانَ مُسَلِّيًا جِدًّا.

وَفِي غُضُونِ أَيَّامٍ قَلِيلَةٍ، لَمْ تَعُدْ هُنَاكَ حَشَرَةٌ أَوْ دُودَةٌ يُمْكِنُ الْعُثُورُ عَلَيْهَا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، عَلَى الْأَقَلِّ لَيْسَ عَلَى الْأَرْضِ أَوْ بِالْقُرْبِ مِنْهَا، كَانَ صِغَارُ بوب وايت قَدِ الْتَهَمُوهَا كُلَّهَا.

قَالَتْ زَوْجَةُ الْأَرْنَبِ بيتر: «لَيْتَهُمْ يَعِيشُونَ هُنَا طَوَالَ الْوَقْتِ، فَأَنَا لَا أُحِبُّ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانَ؛ فَهِيَ تُصِيبُنِي بِالْغَثَيَانِ فِي كُلِّ مَرَّةٍ أَرَاهَا.»

لَكِنْ كَيْ يَنْمُوَ الصِّغَارُ، فَهُمْ يَحْتَاجُونَ طَعَامًا وَفِيرًا، وَفِي نِهَايَةِ الْأُسْبُوعِ قَادَتْ زَوْجَةُ بوب وايت صِغَارَهَا لِالْتِقَاطِ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ وَالْبُذُورِ مِنَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، لَكِنْ دُونَ

أَنْ يَبْتَعِدُوا كَثِيرًا عَنِ الدَّغَلِ الْعَزِيزِ؛ بِحَيْثُ تَسْهُلُ لَهُمُ الْعَوْدَةُ إِلَى مَلَاذِهِمُ الْحَمِيمِ فِي حَالَةِ الضَّرُورَةِ. وَفِي كُلِّ لَيْلَةٍ كَانَتْ تَذْهَبُ الْأُمُّ بِصِغَارِهَا إِلَى الدَّغَلِ الْعَزِيزِ لِلْخُلُودِ إِلَى النَّوْمِ تَحْتَ أَشْجَارِ الْعَلِيقِ الْجَمِيلَةِ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَعَيَّنَ عَلَى بيتر الِاحْتِرَاسُ فِي خُطَاهُ لِوَقْتٍ قَصِيرٍ، وَكَانَ بِالْفِعْلِ يَشْعُرُ بِالْأَسَى عِنْدَمَا لَا يَسْمَعُ ذَلِكَ التَّحْذِيرَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَمْشِي فِيهَا. كَمَا تَرَوْنَ، لَقَدْ أَصْبَحَ بيتر شَدِيدَ التَّعَلُّقِ بِصِغَارِ بوب وايت.

الفصل الثاني عشر

صِغَارُ بوب وايت فِي الْمَدْرَسَةِ

إِلَى الْمَدْرَسَةِ! إِلَى الْمَدْرَسَةِ!
سَيَذْهَبُ الْجَمِيعُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ؛
مُنْذُ زَمَنٍ بَعِيدٍ هَذِهِ هِيَ الْقَاعِدَةُ.

بِالطَّبْعِ هُنَاكَ أَنْوَاعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْمَدَارِسِ، وَلَكِنْ عَلَى الْجَمِيعِ الذَّهَابُ إِلَى نَوْعٍ أَوْ آخَرَ مِنْهَا. الْعَدِيدُ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُونَ أَنَّهُمْ يَذْهَبُونَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ، وَلَكِنَّهُمْ يَذْهَبُونَ بِالْفِعْلِ. إِذَا سَأَلْتَهُمْ أَيَّ مَدْرَسَةٍ يَرْتَادُونَهَا، فَسَيُخْبِرُونَكَ أَنَّهُمْ لَا يَرْتَادُونَ أَيَّ مَدْرَسَةٍ، وَلَكِنَّهُمْ جَمِيعًا يَرْتَادُونَ الْمَدَارِسَ مَعَ ذَلِكَ. إِنَّهُمْ يَرْتَادُونَ أَكْثَرَ الْمَدَارِسِ صُعُوبَةً، إِنَّهَا مَدْرَسَةُ تَجَارِبِ الْحَيَاةِ، وَهِيَ الْمَدْرَسَةُ الَّتِي نَتَعَلَّمُ فِيهَا جَمِيعًا كَيْفَ نَعِيشُ وَنَهْتَمُّ بِأَنْفُسِنَا، وَهَذَا هُوَ الْحَالُ مَعَ سُكَّانِ الْمَرْجِ الصَّغِيرِ وَالْغَابَةِ. ذَهَبَ أَطْفَالُ الْخُلْدِ جوني وَزَوْجَتِهِ بولي الْأَرْبَعَةُ إِلَى مَدْرَسَةٍ فِي الْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ مَا إِنْ صَارُوا كِبَارًا بِالْقَدْرِ الَّذِي يُمَكِّنُهُمْ مِنَ الرَّكْضِ فِي الْأَنْحَاءِ. حَدَثَ الْأَمْرُ نَفْسُهُ مَعَ صِغَارِ الْأَرْنَبِ بيتر فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، وَكَذَلِكَ صِغَارُ فَأْرِ الْمُرُوجِ داني وَزَوْجَتِهِ ناني فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَأَيْضًا أَطْفَالُ الْعَمِّ بيلي الْأَبُوسُومِ النَّشِطُونَ بِالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَكَذَلِكَ طِفْلَا ثَعْلَبِ الْمَاءِ جو الطَّمُوحَانِ، اللَّذَانِ يَعِيشَانِ فِي الْجَدْوَلِ الضَّاحِكِ. وَبِالطَّبْعِ جَمِيعُ صِغَارِ طَائِرِ السُّمَّانِ بوب وايت بَدَءُوا فِي الذَّهَابِ إِلَى الْمَدْرَسَةِ مَا إِنْ خَرَجُوا مِنَ الْبَيْضِ.

كَانَ أَوَّلُ مَا تَعَلَّمُوهُ هُوَ أَنْ يَنْتَبِهُوا إِلَى وَالِدَيْهِمْ، وَهُوَ الدَّرْسُ الَّذِي عَلَى جَمِيعِ الصِّغَارِ أَنْ يَتَعَلَّمُوهُ. شَرَحَتْ لَهُمْ أُمُّهُمْ بَيْنَمَا كَانُوا يَسْتَلْقُونَ تَحْتَ جَنَاحَيْهَا: «كَمَا تَرَوْنَ

يَا أَعِزَّائِي، إِنَّ الْعَالَمَ مَلِيءٌ بِالْمَخَاطِرِ، وَخَاصَّةً لِصِغَارِ بوب وايت؛ وَلِهَذَا إِذَا كُنْتُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَكْبُرُوا لِتَصِيرُوا طُيُورًا جَمِيلَةً وَذَكِيَّةً مِثْلَ أَبِيكُمْ، فَعَلَيْكُمْ أَنْ تَنْتَبِهُوا جَيِّدًا لِمَا نَقُولُهُ لَكُمْ.»

لِذَلِكَ نَظَرًا لِأَنَّ جَمِيعَ الصِّغَارِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ أَرَادُوا أَنْ يَكْبُرُوا وَيَصِيرُوا طُيُورًا ذَكِيَّةً وَجَمِيلَةً مَثَلَ وَالِدِهِمْ، فَقَدْ حَرَصُوا كَثِيرًا أَنْ يَنْتَبِهُوا فَوْرَ أَنْ يَتَكَلَّمَ بوب وايت أَوْ زَوْجَتُهُ. عِنْدَمَا كَانُوا فِي الدَّغَلِ الْعَزِيزِ، كَانُوا فِي أَمَانٍ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَتِ الْأُمُّ تُصْدِرُ لَهُمْ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ إِشَارَةَ الْخَطَرِ؛ مِمَّا يَعْنِي أَنَّ عَلَيْهِمُ الْجُثُومَ فِي مَكَانِهِمْ وَالْبَقَاءَ دُونَ حَرَاكٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ، أَوْ تُصْدِرُ لَهُمْ نِدَاءً يَحُثُّهُمْ عَلَى الْمَجِيءِ رَكْضًا نَحْوَهَا بِأَقْصَى سُرْعَةٍ لَدَيْهِمْ. لَمْ تَقُدْهُمْ إِلَى الْخَارِجِ نَحْوَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بَيْنَ الْحَشَائِشِ وَالْأَعْشَابِ إِلَّا بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّتْ أَنَّهُمْ تَعَلَّمُوا أَنْ يَنْتَبِهُوا إِلَيْهَا فَوْرَ أَنْ تَتَحَدَّثَ.

وَهُنَاكَ كَانَ يُوجَدُ دَائِمًا خَطَرٌ حَقِيقِيٌّ يُوَاجِهُهُمْ حَرَصَتِ الْأُمُّ عَلَى إِخْبَارِهِمْ بِهِ. كَانَ هُنَاكَ خَطَرٌ فِي السَّمَاءِ مِنْ أَعْلَاهُمْ حَيْثُ يُحَلِّقُ الصَّقْرُ أحمر الذيل بَحْثًا عَنِ الصِّغَارِ الْمُتَهَوِّرِينَ وَالْمُسْتَهْتِرِينَ فِي الْأَسْفَلِ. وَأَيْضًا خَطَرٌ يَتَمَثَّلُ فِي الثَّعْلَبِ ريدي وَالْجَدَّةِ ثعلبة الْعَجُوزِ وَالْقَيُّوطِ الَّذِينَ يَحُومُونَ طَوَالَ الْوَقْتِ بِأَعْيُنِهِمُ الثَّاقِبَةِ وَآذَانِهِمُ الْمُصْغِيَةِ وَأُنُوفِهِمُ الْقَوِيَّةِ بَحْثًا عَنِ الصِّغَارِ الْمُتَهَوِّرِينَ. كَذَلِكَ الْخَطَرُ الَّذِي يُمَثِّلُهُ الثُّعْبَانُ الْأَسْوَدُ وَبَعْضُ أَقَارِبِهِ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ فِي صَمْتٍ فَوْقَ الْحَشَائِشِ.

لِذَلِكَ تَعَلَّمَ صِغَارُ بوب وايت أَنْ يَنْتَبِهُوا وَهُمْ يَرْكُضُونَ فِي أَيِّ طَرِيقٍ بَحْثًا عَنِ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ، وَلَدَى سَمَاعِهِمْ أَيَّ صَوْتٍ ضَئِيلٍ غَيْرِ مَأْلُوفٍ، كَانُوا يَجْثُمُونَ فِي أَمَاكِنِهِمْ وَيَنْتَظِرُونَ إِشَارَةَ أُمِّهِمْ بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ. عَلَّمَتْهُمْ أُمُّهُمْ كَذَلِكَ التَّمْيِيزَ بَيْنَ الصَّقْرِ حوام الْعَجُوزِ، الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُؤْذِيَ أَيًّا مِنْهُمْ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَالصَّقْرِ أحمر الذيل الَّذِي كَانَ يَحُومُ دُونَ أَنْ يُرَفْرِفَ بِجَنَاحَيْهِ. وَمَا إِنْ تَعَلَّمُوا الطَّيَرَانَ قَلِيلًا، حَتَّى عَلَّمَتْهُمْ أُمُّهُمْ أَنْ يَتَحَقَّقُوا مِنْ أَمَاكِنِ أَقْرَبِ الشُّجَيْرَاتِ أَوِ الْأَشْجَارِ الَّتِي يُمْكِنُهُمُ الطَّيَرَانُ إِلَيْهَا فِي حَالَةِ ظُهُورِ خَطَرٍ مُفَاجِئٍ عَلَى الْأَرْضِ. عَلَّمَتْهُمْ أَيْضًا كَيْفَ يَعْثُرُونَ عَلَى أَكْثَرِ الْأَمَاكِنِ أَمَانًا لِقَضَاءِ اللَّيْلِ. كَانَ هُنَاكَ الْكَثِيرُ أَمَامَ هَؤُلَاءِ الصِّغَارِ لِيَتَعَلَّمُوهُ! نَعَمْ، بِالطَّبْعِ، وَلَنْ يَنْفَعَهُمْ شَيْءٌ إِذَا نَسُوا أَمْرًا وَاحِدًا مِمَّا تَعَلَّمُوهُ. إِنَّ النِّسْيَانَ وَلَوْ لِمَرَّةٍ يَعْنِي وُقُوعَ

حَدَثٍ مُرِيعٍ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَنْسَوْا. كَذَلِكَ عَلَّمَهُمْ بوب وايت بِنَفْسِهِ الْعَدِيدَ مِنَ الْأَشْيَاءِ، كَانَ بوب وايت عَلَى دِرَايَةٍ كَبِيرَةٍ بِمَا يَتَعَلَّقُ بِسُبُلِ الْعَيْشِ فِي الْعَالَمِ الْفَسِيحِ، وَكَانَ مِنْ أَفْضَلِ الْآبَاءِ. وَهَكَذَا كَبُرَ صِغَارُ بوب وايت يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ حَتَّى صَارَ جَنَاحَا أُمِّهِمْ لَا يَتَّسِعَانِ لَهُمْ لِيَسْتَقِرُّوا تَحْتَهُ، كَذَلِكَ أَصْبَحَ فِي مَقْدُورِهِمُ الطَّيَرَانُ بِأَجْنِحَةٍ سَرِيعَةٍ وَقَوِيَّةٍ، وَطَوَالَ الْوَقْتِ كَانُوا تَلَامِيذَ فِي الْمَدْرَسَةِ دُونَ أَنْ يُدْرِكُوا ذَلِكَ.

الفصل الثالث عشر

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَزْدَادُ فُضُولًا

حَقِيقَةٌ لَا تَجْعَلْهَا عَنْكَ تَغِيبُ؛
إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ يَحْدُثُ سَبَبًا.

فِي صَبَاحِ أَحَدِ الْأَيَّامِ وَعَلَى طَاوِلَةِ الْإِفْطَارِ، قَالَ الْمُزَارِعُ براون لِابْنِهِ: «يَا بُنَيَّ، لَقَدْ أَصْبَحَ لَدَيْنَا أَجْمَلُ حَدِيقَةٍ فِي الْمِنْطَقَةِ مِنْ حَوْلِنَا. أَنَا لَا أَذْكُرُ مُطْلَقًا أَنَّهُ كَانَتْ لَدَيْنَا حَدِيقَةٌ لَمْ تُؤْذِهَا الْحَشَرَاتُ وَالدِّيدَانُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ الْقَلِيلِ، جَمِيعُ جِيرَانِنَا يَشْكُونَ مِنْ أَنَّ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانَ أَكْثَرُ ضَرَرًا هَذَا الْعَامَ مِنْ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى، وَأَنَّهَا تَلْتَهِمُ حَدَائِقَهُمْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ كُلِّ مَا يَفْعَلُونَهُ. أَنَا فَخُورٌ بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي تَتَّبِعُهَا لِلِاعْتِنَاءِ بِحَدِيقَتِنَا.»

تَوَرَّدَتْ وَجْنَتَا ابْنِ الْمُزَارِعِ براون فَرَحًا، لَقَدْ عَمِلَ بِجِدٍّ فِي هَذِهِ الْحَدِيقَةِ مُنْذُ غَرْسِ الْبُذُورِ، وَكَافَحَ الْحَشَائِشَ الضَّارَّةَ وَالْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانَ، وَلَكِنَّ هَذَا مَا فَعَلَهُ بَعْضُ الْجِيرَانِ أَيْضًا، وَدُمِّرَتْ حَدَائِقُهُمْ تَقْرِيبًا مَعَ ذَلِكَ. وَعَمِلُوا بِالْجِدِّ نَفْسِهِ الَّذِي عَمِلَ بِهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ، وَلَكِنْ كَانَتِ الْحَشَرَاتُ وَالدِّيدَانُ كَثِيرَةً لِلْغَايَةِ؛ لَمْ يَفْهَمِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِمَ تَمَكَّنَ هُوَ مِنَ الْقَضَاءِ عَلَيْهَا بَيْنَمَا فَشِلَ الْآخَرُونَ، لَا بُدَّ أَنَّ هُنَاكَ سَبَبًا؛ فَثَمَّةَ سَبَبٌ لِكُلِّ شَيْءٍ.

اعْتَمَرَ الصَّبِيُّ بَعْدَ تَنَاوُلِ الْإِفْطَارِ الْقُبَّعَةَ الْقَدِيمَةَ الْمَصْنُوعَةَ مِنَ الْقَشِّ، وَتَوَجَّهَ نَحْوَ حَدِيقَتِهِ لِيَتَفَقَّدَهَا، وَهُوَ لَا يَزَالُ فِي حِيرَةٍ مِنْ أَمْرِهِ حَوْلَ السَّبَبِ الَّذِي جَعَلَ حَالَ حَدِيقَتِهِ أَفْضَلَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْحَدَائِقِ الْأُخْرَى. كَانَ هُنَاكَ لَوْحٌ خَشَبِيٌّ عَتِيقٌ عِنْدَ حُدُودِ الْحَدِيقَةِ، رَفَعَهُ مِنْ إِحْدَى نِهَايَتَيْهِ وَنَظَرَ أَسْفَلَهُ. نَظَرَ إِلَيْهِ الضِّفْدَعُ الْعَجُوزُ ثُمَّ طَرَفَ بِعَيْنَيْهِ فِي نُعَاسٍ،

وَلَكِنْ عَلَى نَحْوٍ وَدُودٍ لِلْغَايَةِ. كَانَ مِعْطَفُ الضِّفْدَعِ الْعَجُوزِ مُنْتَفِخًا لِلْغَايَةِ حَتَّى بَدَا أَنَّهُ شَدِيدُ الضِّيقِ وَلَا يُنَاسِبُهُ. ابْتَسَمَ الصَّبِيُّ وَهُوَ يَضَعُ اللَّوْحَ بِرِفْقٍ، فَقَدْ عَلِمَ سَبَبَ ضِيقِ الْمِعْطَفِ؛ إِذْ إِنَّهُ يَمْتَلِئُ بِالْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ الَّتِي الْتَهَمَهَا الضِّفْدَعُ. تَمْتَمَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «هَذَا أَحَدُ الْأَسْبَابِ.»

وَبَعْدَ أَنْ سَارَ لِمَسَافَةٍ أُخْرَى وَجَدَ صَدِيقَهُ الصَّغِيرَ الْعُصْفُورَ الْمُغَرِّدَ سونج مَشْغُولًا جِدًّا بَيْنَ شُجَيْرَاتِ التُّوتِ، ابْتَسَمَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَقَالَ: «وَهَا هُوَ سَبَبٌ آخَرُ.» وَعِنْدَ نِهَايَةِ مَمَرٍّ طَوِيلٍ، جَلَسَ لِيُفَكِّرَ، لَيْسَ هُنَاكَ شَكٌّ أَنَّهُ كَانَ مُمْتَنًّا لِلضِّفْدَعِ الْعَجُوزِ وَصَدِيقِهِ الصَّغِيرِ وَالْكَثِيرِ مِنَ الْكَائِنَاتِ ذَاتِ الرِّيشِ بِالْبُسْتَانِ الْقَدِيمِ لِمَا فَعَلُوهُ فِي حَدِيقَتِهِ الْجَمِيلَةِ، وَلَكِنَّهُ كَانَ يَحْصُلُ عَلَى مُسَاعَدَتِهِمْ فِي السَّنَوَاتِ الْمَاضِيَةِ، وَلَمْ تَكُنِ الْحَدِيقَةُ تَبْدُو بِنِصْفِ جَمَالِهَا الْحَالِيِّ، عَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانَ فِي السَّابِقِ لَمْ تَكُنْ بِهَذَا الْكَمِّ الَّذِي تَشْهَدُهُ هَذِهِ السَّنَةُ. إِذَنْ مُسَاعَدَةُ تِلْكَ الْكَائِنَاتِ لَهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الدِّيدَانِ وَالْحَشَرَاتِ إِلَى جَانِبِ عَمَلِهِ الشَّاقِّ فِي الْحَدِيقَةِ يُعْتَبَرَانِ جُزْءًا مِنْ سَبَبِ ظُهُورِ الْحَدِيقَةِ بِهَذَا الْمَظْهَرِ الْجَمِيلِ؛ لِذَا لَمْ يَسْتَطِعِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْحَيْلُولَةَ دُونَ التَّفْكِيرِ فِي وُجُودِ سَبَبٍ آخَرَ لَا يَعْرِفُهُ.

كَانَ يُفَكِّرُ بِعُمْقٍ، حَتَّى إِنَّهُ ظَلَّ جَالِسًا دُونَ حَرَاكٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي مَكَانِهِ. فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ نَظَرَتْ عَيْنَانِ بَرَّاقَتَانِ فِي خُلْسَةٍ مِنْ أَسْفَلِ شُجَيْرَةِ التُّوتِ، ثُمَّ خَطَا أَمَامَهُ كَائِنٌ صَغِيرٌ مُهَنْدَمٌ وَذَكِيٌّ فِي زِيِّهِ الْبُنِّيِّ وَالرَّمَادِيِّ ذِي الزَّرْكَشَةِ السَّوْدَاءِ؛ لَقَدْ كَانَ بوب وايت. أَطْلَقَ بوب وايت نِدَاءً نَاعِمًا، فَخَرَجَتْ زَوْجَتُهُ وَصِغَارُهُمَا الْخَمْسَةَ عَشَرَ! وَبِكَلِمَةٍ مِنْهُ انْتَشَرَ الْجَمِيعُ وَشَرَعُوا فِي الْعَمَلِ بَيْنَ النَّبَاتَاتِ.

حَبَسَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنْفَاسَهُ وَهُوَ يُرَاقِبُ مَا يَحْدُثُ، لَمْ يَنْتَبِهُوا إِلَيْهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ يَجْلِسُ دُونَ حَرَاكٍ. كَانَ بَعْضُهُمْ يَنْبُشُ الْأَرْضَ مِثْلَمَا يَفْعَلُ الدَّجَاجُ فِي الْبُيُوتِ، ثُمَّ يَلْتَقِطُونَ أَشْيَاءَ بَالِغَةَ الصِّغَرِ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرَى مَا هِيَ، لَكِنَّهُ عَرَفَ؛ عَرَفَ أَنَّهَا حُبُوبٌ صَغِيرَةٌ، وَلِأَنَّ جَمِيعَ الْحُبُوبِ الَّتِي غَرَسَهَا هُوَ وَأَبُوهُ براون قَدْ نَمَتِ الْآنَ وَأَصْبَحَتْ نَبَاتَاتٍ قَوِيَّةً، كَانَ يُدْرِكُ أَنَّ هَذِهِ الْحُبُوبَ هِيَ بُذُورُ الْحَشَائِشِ الضَّارَّةِ.

كَانَ بوب وايت نَفْسُهُ فِي غَايَةِ الِانْشِغَالِ بَيْنَ نَبَاتَاتِ الْبَطَاطَا، وَكَانَ عَلَى مَقْرُبَةٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الصَّبِيِّ حَتَّى تَسَنَّتْ لِلصَّبِيِّ رُؤْيَةُ مَا يَفْعَلُهُ بوب وايت؛ كَانَ يَأْكُلُ الْخَنَافِسَ

الْمُخَطَّطَةَ الَّتِي كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ حَارَبَهَا لِوَقْتٍ طَوِيلٍ حَتَّى صَارَ يَكْرَهُهَا. أَخَذَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُحْصِي عَدَدَهَا: «وَاحِدَةٌ، اثْنَتَانِ، ثَلَاثٌ، أَرْبَعٌ، خَمْسٌ، سِتٌّ، سَبْعٌ، ثَمَانٍ، تِسْعٌ، عَشْرٌ، إِحْدَى عَشْرَةَ.» حِينَئِذٍ تَحَرَّكَ بوب إِلَى مَكَانٍ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ رُؤْيَتَهُ فِيهِ. اسْتَطَاعَ رُؤْيَةَ زَوْجَةِ بوب وايت بَيْنَ نَبَاتَاتِ الْقَرْعِ، وَكَانَتْ تَلْتَقِطُ الْحَشَرَاتِ سَرِيعًا مِثْلَ بوب وايت وَهُوَ يَلْتَقِطُ خَنَافِسَ الْبَطَاطَا. لَمْ يَعْرِفْ مَا الَّذِي كَانَ يَفْعَلُهُ الْآخَرُونَ، وَلَكِنَّهُ اسْتَطَاعَ أَنْ يُخَمِّنَ.

وَفَجْأَةً صَاحَ فِي انْتِصَارٍ: «هَا هِيَ بَاقِي الْأَسْبَابِ!» تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ عَالٍ، وَفِي لَمْحِ الْبَصَرِ اخْتَفَى الْجَمِيعُ.

الفصل الرابع عشر

دَرْسٌ صَغِيرٌ فِي الْحِسَابِ

لَا تَقُلْ إِنِّي لِلْحِسَابِ كَارِهٌ،
وَكَمْ هُوَ ثَقِيلٌ وَمُضْجِرٌ؛
فَالْحِسَابُ مُمْتِعٌ وَسَاحِرٌ.
فَقَطْ حَاوِلْ وَلَا تُكَابِرْ.

اعْتَادَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنْ يَكْرَهَ الْحِسَابَ، لَكِنَّ هَذَا تَغَيَّرَ الْآنَ؛ لَمْ يَرَ قَطُّ جَدْوَى فِي إِجْهَادِ نَفْسِهِ فِي التَّفْكِيرِ فِي الْعَمَلِيَّاتِ الْحِسَابِيَّةِ بِالْمَدْرَسَةِ. قَالَ إِنَّ ذَلِكَ لَا يُوجَدُ فِيهِ أَيُّ شَيْءٍ مُمْتِعٍ، لَا شَيْءَ سِوَى الْمَشَقَّةِ. اعْتَادَ كَذَلِكَ عَلَى التَّذَمُّرِ مِنْ مَادَّةِ الْحِسَابِ فِي الْمَنْزِلِ، وَكَانَ الْمُزَارِعُ براون يُنْصِتُ إِلَيْهِ قَلِيلًا ثُمَّ يَقُولُ: «إِذَا عِشْتَ طَوِيلًا بِمَا يَكْفِي يَا بُنَيَّ، فَسَتَجِدُ أَنَّ الْأَرْقَامَ تُخْبِرُكَ بِأُمُورٍ وَتَكْشِفُ لَكَ عَنْ أَرْوَعِ الْأَشْيَاءِ.» وَدَائِمًا مَا كَانَتْ تَلْمَعُ عَيْنَاهُ وَهُوَ يُخْبِرُ ابْنَهُ بِذَلِكَ.

بِالطَّبْعِ أَدْرَكَ الْآنَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنَّ وَالِدَهُ لَمْ يَقْصِدْ أَنَّ الْأَرْقَامَ تَتَحَدَّثُ بِالْفِعْلِ، بِالطَّبْعِ لَا. لَكِنَّ الصَّبِيَّ لَمْ يَفْهَمْ قَطُّ مَا كَانَ يَقْصِدُهُ أَبُوهُ، وَلَمْ يَكُنْ مُهْتَمًّا لِيُحَاوِلَ؛ لِذَلِكَ اسْتَمَرَّ ضِيقُهُ مِنَ الْحِسَابِ وَتَمَنَّى أَلَّا يُعْطِيَهُ الْمُعَلِّمُ مِثْلَ هَذِهِ الدُّرُوسِ الصَّعْبَةِ. وَعِنْدَمَا بَدَأَتِ الْإِجَازَةُ الصَّيْفِيَّةُ الطَّوِيلَةُ، نَسِيَ تَمَامًا أَمْرَ الْحِسَابِ وَالْجَمْعِ حَتَّى اكْتَشَفَ بوب وايت وَأُسْرَتَهُ وَهُمْ يُسَاعِدُونَهُ فِي التَّخَلُّصِ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ وَالْحَشَائِشِ الضَّارَّةِ.

بَعْدَ أَنِ اكْتَشَفَ أَمْرَهُمْ، كَانَ يَذْهَبُ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى الْحَدِيقَةِ لِمُرَاقَبَتِهِمْ، وَسُرْعَانَ مَا اكْتَشَفُوا أَنَّهُ لَنْ يُؤْذِيَهُمْ، وَبَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يُلْقُوا لَهُ بَالًا عَلَى الْإِطْلَاقِ، بَلِ اهْتَمُّوا مُبَاشَرَةً بِالْعَمَلِ

مِنْ حَوْلِهِ، وَذَلِكَ الْعَمَلُ تَمَثَّلَ فِي مَلْءِ بُطُونِهِمْ بِالْبُذُورِ وَالدِّيدَانِ وَالْحَشَرَاتِ. وَذَاتَ يَوْمٍ، أَكَلَ بوب وايت اثْنَتَيْ عَشْرَةَ يَرَقَانَةً بَيْنَمَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُرَاقِبُهُ. أَخْرَجَ الْوَلَدُ قَلَمًا قَصِيرًا سَمِيكًا وَوَرَقَةً.

قَالَ وَهُوَ يُقَطِّبُ حَاجِبَيْهِ: «إِذَا تَنَاوَلَ كُلُّ فَرْدٍ مِنْ أُسْرَةِ بوب وايت اثْنَتَيْ عَشْرَةَ دُودَةً فِي الْوَجْبَةِ الْوَاحِدَةِ، فَسَيُصْبِحُ الْمَجْمُوعُ ... سَأَرَى؛ هُنَاكَ بوب وايت وَزَوْجَتُهُ وَصِغَارُهُمَا الْخَمْسَةَ عَشَرَ، سَيَكُونُ مَجْمُوعُهُمْ سَبْعَةَ عَشَرَ. الْآنَ، إِذَا كَانَ كُلٌّ مِنْهُمْ يَأْكُلُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، تُضْرَبُ فِي سَبْعَةَ عَشَرَ.» كَتَبَ الْأَرْقَامَ عَلَى قُصَاصَةِ الْوَرَقِ، وَحَاوَلَ حَلَّ الْمَسْأَلَةِ لِعِدَّةِ دَقَائِقَ، ثُمَّ تَمْتَمَ: «فَسَيُصْبِحُ الْعَدَدُ مِائَتَيْنِ وَأَرْبَعَ يَرَقَانَاتٍ فِي الْوَجْبَةِ الْوَاحِدَةِ، وَفِي شَهْرٍ مُكَوَّنٍ مِنْ ثَلَاثِينَ يَوْمًا سَيَكُونُونَ قَدِ الْتَهَمُوا سِتَّةَ آلَافٍ وَمِائَةً وَعِشْرِينَ يَرَقَانَةً، هَذَا إِذَا أَكَلُوا وَجْبَةً وَاحِدَةً فِي الْيَوْمِ، لَكِنَّهُمْ يَأْكُلُونَ وَجَبَاتٍ عَدِيدَةً فِي الْيَوْمِ، وَيَعْنِي ذَلِكَ ...» وَقَفَ لِيُحَمْلِقَ فِي الْأَرْقَامِ بِقُصَاصَةِ الْوَرَقِ بَيْنَمَا اتَّسَعَتْ عَيْنَاهُ فِي ذُهُولٍ، ثُمَّ أَطْلَقَ صَفِيرًا خَافِتًا قَلِيلًا مِنْ فَرْطِ الِانْدِهَاشِ وَهَتَفَ: «لَا غَرَابَةَ أَنَّ لَدَيَّ حَدِيقَةً جَمِيلَةً بِفَضْلِ عَمَلِ هَؤُلَاءِ الرِّفَاقِ فِيهَا!»

ثُمَّ جَلَسَ لِيُرَاقِبَ زَوْجَةَ بوب وايت وَهِيَ تَلْتَقِطُ فَرَاشَاتِ الْمَلْفُوفِ الْبَيْضَاءَ الَّتِي يَعْلَمُ أَنَّهَا سَتَبِيضُ وَسَيَخْرُجُ مِنَ الْبَيْضِ دِيدَانٌ؛ وَمِنْ ثَمَّ يَفْسُدُ الْمَلْفُوفُ. حَسَبَ عَدَدَ مَا الْتَقَطَتْهُ مِنْ حَشَرَاتٍ بَيْنَمَا كَانَتْ فِي مَجَالِ رُؤْيَتِهِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ مَعَ أَحَدِ صِغَارِ بوب وايت وَكَانَ يَلْتَقِطُ خَنَافِسَ الْخِيَارِ، وَآخَرَ كَانَ يَصْطَادُ الْجَرَادَ. ثُمَّ قَامَ بِالْمَزِيدِ مِنَ الْحِسَابَاتِ عَلَى قُصَاصَةِ الْوَرَقِ. عِنْدَمَا انْتَهَى، نَهَضَ وَذَهَبَ مُبَاشَرَةً إِلَى حَقْلِ الذُّرَةِ حَيْثُ كَانَ يَعْمَلُ الْمُزَارِعُ براون.

قَالَ الْوَلَدُ: «الْآنَ أُدْرِكُ مَا قَصَدْتَهُ عِنْدَمَا اعْتَدْتَ إِخْبَارِي بِأَنَّ الْأَرْقَامَ سَتُخْبِرُنِي بِأُمُورٍ. لَقَدْ أَخْبَرَتْنِي أَكْثَرَ مِمَّا كُنْتُ أَتَصَوَّرُ! لَقَدْ أَخْبَرَتْنِي أَنَّ عَائِلَةَ بوب وايت هُمْ أَفْضَلُ الْأَصْدِقَاءِ الَّذِينَ حَظِينَا بِهِمْ، وَأَنَّ السَّبَبَ فِي أَنَّنَا قَدْ حَصَلْنَا عَلَى أَفْضَلِ حَدِيقَةٍ فِي الْمَكَانِ كُلِّهِ هُوَ أَنَّهُمْ مَنْ جَعَلُوهَا كَذَلِكَ. إِنَّ هَذِهِ الطُّيُورَ الْبُنِّيَّةَ الصَّغِيرَةَ تُكْسِبُنَا الْمَالَ، وَلَمْ نُخَمِّنْ ذَلِكَ قَطُّ!»

الفصل الخامس عشر

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَشْعُرُ بِالسُّخْطِ

أَنْ تَكُونَ سَاخِطًا يَعْنِي أَنَّكَ غَاضِبٌ لِسَبَبٍ وَجِيهٍ. إِذَا ثَارَتْ ثَائِرَتُكَ وَاسْتَسْلَمْتَ لِلْغَضَبِ لِأَنَّ الْأُمُورَ لَمْ تَسِرْ كَمَا تَشْتَهِي، فَإِنَّكَ لَسْتَ سَاخِطًا، بَلْ غَاضِبٌ بِبَسَاطَةٍ. وَلَكِنْ إِذَا مَا دَخَلَ الْغَضَبُ قَلْبَكَ بِسَبَبِ أَذًى أَوْ ظُلْمٍ تَعَرَّضَ لَهُ أَحَدٌ آخَرُ، أَوْ حَتَّى تَعَرَّضْتَ لَهُ أَنْتَ، فَإِنَّكَ سَتَشْعُرُ بِالسُّخْطِ.

أَمْضَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَقْتَ فَرَاغِهِ فِي الْحَدِيقَةِ لِيُرَاقِبَ بوب وايت وَأُسْرَتَهُ. فِي الْوَاقِعِ، ذَهَبَ إِلَى هُنَاكَ كَثِيرًا حَتَّى صَارَ أَفْرَادُ عَائِلَةِ بوب وايت يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ كَشَخْصٍ مُسَالِمٍ، بَلْ وَصَدِيقٍ أَيْضًا. لَمْ يَعْبَئُوا بِوُجُودِهِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَكِنَّهُمْ بَاشَرُوا عَمَلَهُمْ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مَوْجُودًا. كَانَ عَمَلُهُمْ تَخْلِيصَ الْحَدِيقَةِ مِنَ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانِ وَالْحَشَائِشِ الضَّارَّةِ؛ لِيَمْلَئُوا بِهَا بُطُونَهُمْ. مَا أَسْعَدَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون هُوَ أَنَّ الْحَشَرَاتِ وَالدِّيدَانَ الَّتِي يُفَضِّلُونَهَا، كَانَتِ الْأَكْثَرَ ضَرَرًا عَلَى النَّبَاتَاتِ النَّامِيَةِ.

كَانَ هُنَاكَ حَقْلٌ مِنَ الْقَمْحِ وَرَاءَ الْحَدِيقَةِ، وَكَمَا تَعْلَمُونَ، إِنَّ الْقَمْحَ هُوَ مَصْدَرُ الطَّحِينِ الَّذِي نَصْنَعُ مِنْهُ الْخُبْزَ. وَكَانَتْ هُنَاكَ حَشَرَةٌ صَغِيرَةٌ تُدْعَى حَشَرَةَ الْحِنْطَةِ، وَهِيَ حَشَرَةٌ بَغِيضَةٌ فِي غَايَةِ الشَّرَاهَةِ، لِدَرَجَةِ أَنَّهَا عِنْدَمَا تَغْزُو هِيَ وَمَا عَلَى شَاكِلَتِهَا حَقْلًا مِنَ الْقَمْحِ، تُفْسِدُ الْمَحْصُولَ كُلَّهُ عَادَةً؛ فَقَدْ كَانَتْ تَمْتَصُّ تِلْكَ الْحَشَرَاتُ عُصَارَةَ النَّبَاتَاتِ؛ وَمِنْ ثَمَّ يَذْبُلُ النَّبَاتُ وَيَمُوتُ. كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون قَدْ سَمِعَ جِيرَانَهُ يَشْتَكُونَ أَنَّ حَشَرَاتِ الْحِنْطَةِ كَانَتْ فِي غَايَةِ الضَّرَاوَةِ هَذَا الْعَامَ، وَعَلِمَ أَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ مِنْ مَنْظَرِ الْقَمْحِ فِي مَزَارِعِ جِيرَانِهِ، لَكِنَّ قَمْحَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ بِخَيْرٍ كَمَا كَانَ يَبْدُو؛ كَانَ مِنَ

الْوَاضِحِ أَنَّهُ لَا وُجُودَ لِحَشَرَاتِ الْحِنْطَةِ هُنَاكَ، وَكَانَ غَالِبًا يَتَسَاءَلُ عَنْ سَبَبِ ذَلِكَ، فِي حِينِ أَنَّ الْحَشَرَاتِ غَزَتِ الْحُقُولَ الْأُخْرَى لَدَى جِيرَانِهِ عَلَى نَحْوٍ غَايَةٍ فِي الضَّرَاوَةِ.

لَاحَظَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنَّ بوب وايت وَعَائِلَتَهُ أَمْضَوُا الْكَثِيرَ مِنَ الْوَقْتِ فِي حَقْلِ الْقَمْحِ. فِي أَحَدِ الْأَيَّامِ، رَأَى بوب وَهُوَ يَلْتَقِطُ شَيْئًا مِنْ سَاقِ نَبَاتِ الْقَمْحِ، فَذَهَبَ لِيَرَى مَاهِيَّةَ ذَلِكَ الشَّيْءِ. بِالطَّبْعِ هُرِعَ بوب مُبْتَعِدًا، وَلَكِنْ عِنْدَمَا فَحَصَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون الْقَمْحَ، وَجَدَ بَعْضًا مِنْ حَشَرَاتِ الْحِنْطَةِ؛ ثُمَّ عَرَفَ مَا كَانَ يَفْعَلُهُ بوب؛ لَقَدْ كَانَ يَلْتَقِطُ وَيَأْكُلُ تِلْكَ الْحَشَرَاتِ الْبَغِيضَةَ الصَّغِيرَةَ، وَعَلِمَ كَذَلِكَ لِمَ حَقْلُ الْقَمْحِ الْخَاصُّ بِهِمُ كَانَ الْأَفْضَلَ بَيْنَ كُلِّ مَا حَوْلَهُ عَلَى مَسَافَةِ أَمْيَالٍ عَدِيدَةٍ؛ لَقَدْ كَانَ بِسَبَبِ صَيْدِ بوب وايت وَعَائِلَتِهِ لِتِلْكَ الْحَشَرَاتِ وَالْتِهَامِهَا بِسُرْعَةٍ كُلَّمَا ظَهَرَتْ.

صَاحَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «أَحْسَنْتُمْ! إِنَّكُمْ أَعْظَمُ مُسَاعِدِينَ قَدْ يَحْصُلُ عَلَيْهِمُ الْمُزَارِعُ!» وَأَسْرَعَ لِيُخْبِرَ أَبَاهُ بِمَا اكْتَشَفَهُ.

ثُمَّ مَرَّ الصَّيْفُ، وَحَلَّتْ أَيَّامُ الْخَرِيفِ بِلَسْعَاتِ الْبَرْدِ. كَانَ الْقَمْحُ قَدْ حُصِدَ وَجُمِعَتِ الْخَضْرَاوَاتُ وَخُزِّنَتْ. ثُمَّ بَدَأَ الصَّقِيعُ يَكْسُو أَشْجَارَ الْقَيْقَبِ الْحَمْرَاءَ وَالصَّفْرَاءَ، كَانَتِ الْحَدِيقَةُ جَرْدَاءَ، وَكَانَ لَوْنُ بَقَايَا الْحَصَادِ فِي حَقْلِ الْقَمْحِ ذَهَبِيًّا يَمِيلُ إِلَى الْبُنِّيَّةِ. طَارَتِ الْكَائِنَاتُ الصَّغِيرَةُ مِنْ ذَوَاتِ الرِّيشِ الَّتِي لَا تُحِبُّ الطَّقْسَ الْبَارِدَ بَعِيدًا نَحْوَ الْأَرْضِ الْجَنُوبِيَّةِ الْمُشْمِسَةِ، وَتَقَدَّمَهَا الصَّقْرُ حوام الْعَجُوزُ. كَمَا انْشَغَلَ السِّنْجَابُ الْمُخَطَّطُ وَالسِّنْجَابُ الْأَحْمَرُ ثرثار وَالسِّنْجَابُ الرَّمَادِيُّ جاك السَّعِيدُ مِنَ الصَّبَاحِ حَتَّى اللَّيْلِ فِي تَخْزِينِ الْحُبُوبِ وَالْجَوْزِ الَّتِي سَيَأْكُلُونَهَا فِي الشِّتَاءِ الْبَارِدِ الطَّوِيلِ. كَانَتْ أَيَّامًا رَائِعَةً، وَأَحَبَّ بوب وايت كُلَّ يَوْمٍ فِيهَا.

ذَاتَ صَبَاحٍ، قَالَ الْمُزَارِعُ براون: «يَا بُنَيَّ، لَا بُدَّ أَنَّ عَائِلَةَ بوب وايت تِلْكَ أَصْبَحَتْ سَمِينَةً الْآنَ بَعْدَ أَنْ نَعِمُوا بِحَيَاةٍ هَادِئَةٍ. وَنَظَرًا لِأَنَّنَا زَوَّدْنَاهُمْ بِالطَّعَامِ طَوَالَ الصَّيْفِ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ حَانَ دَوْرُهُمْ لِإِطْعَامِنَا؟ أَعْتَقِدُ أَنَّ السُّمَّانَ الْمَشْوِيَّ مَعَ الْخُبْزِ سَيَكُونُ طَيِّبَ الْمَذَاقِ. سَيَبْدَأُ الْأُسْبُوعَ الْقَادِمَ مَوْسِمُ الصَّيْدِ؛ لِذَلِكَ أَعْتَقِدُ أَنَّكَ سَتُخْرِجُ بُنْدُقِيَّتَكَ لِتَصْطَادَ بَعْضًا مِنْ آلِ بوب وايت مِنْ أَجْلِنَا.» ظَهَرَ فِي عَيْنَيِ الْمُزَارِعِ براون بَرِيقٌ طَيِّبٌ أَثْنَاءَ حَدِيثِهِ.

لَمْ يَلْحَظْ الِابْنُ ذَلِكَ الْبَرِيقَ، وَاحْمَرَّ وَجْهُهُ، وَامْتَلَأَ قَلْبُهُ بِغَضَبٍ عَارِمٍ؛ فَقَدْ شَعَرَ بِالسُّخْطِ. كَانَ سَاخِطًا لِلْغَايَةِ؛ لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّ وَالِدَهُ لَنْ يُلَمِّحَ أَبَدًا إِلَى شَيْءٍ كَهَذَا، وَلَكِنَّ هَذَا لَمْ يُنْسِهِ احْتِرَامَهُ لِوَالِدِهِ.

قَالَ: «لَا يَا سَيِّدِي! لَنْ أَصْطَادَ أَيًّا مِنْهُمْ مَهْمَا كَانَ الْمُقَابِلُ! لَيْسُوا مَدِينِينَ لَنَا بِأَيِّ شَيْءٍ، بَلْ نَحْنُ مَنْ نَدِينُ لَهُمْ؛ فَلَوْلَاهُمْ مَا كُنَّا سَنَجْنِي نِصْفَ مَحْصُولِ الْقَمْحِ، وَكَانَتْ حَدِيقَتُنَا سَتُصْبِحُ جَرْدَاءَ مِثْلَ حَدَائِقِ جِيرَانِنَا. أَنَا لَنْ أَصْطَادَهُمْ، وَلَنْ أَدَعَ أَيَّ أَحَدٍ يَصْطَادُهُمْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فِي وُسْعِي، هَذَا كُلُّ مَا فِي الْأَمْرِ!»

الفصل السادس عشر

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُنَاقِشُ الْأَمْرَ

الْحُبُّ لَا يُضَاهِيهِ شَيْءٌ
فِي الْأَرْضِ أَوِ الْبَحْرِ أَوِ السَّمَاءِ.

إِذَا سَادَ الْحُبُّ فِي كُلِّ مَكَانٍ فَلَنْ تَنْدَلِعَ حُرُوبٌ مُرَوِّعَةٌ، وَلَنْ تُبْنَى السُّجُونُ، وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ فَقْرٌ مُدْقِعٌ، وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ نِزَاعَاتٌ مُحْتَدِمَةٌ بَيْنَ الْعَامِلِينَ وَأَصْحَابِ الْعَمَلِ، وَلَنْ يَكُونَ هُنَاكَ خَوْفٌ مِنَ الْإِنْسَانِ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ، وَلَا مُعَانَاةٌ مُخِيفَةٌ مِنَ الْفِخَاخِ وَالْبَنَادِقِ الْمُرِيعَةِ. الْحُبُّ هَذَا الشَّيْءُ الرَّائِعُ الْعَظِيمُ، الَّذِي تَعْكِسُهُ كَلِمَةٌ تَتَأَلَّفُ مِنْ حَرْفَيْنِ، يَسْتَطِيعُ أَنْ يُدْخِلَ الْفَرَحَ وَالسَّعَادَةَ فِي كُلِّ قَلْبٍ عَلَى الدَّوَامِ، فَقَطْ إِذَا أَعْطَيْنَاهُ فُرْصَةً.

كَانَ الْحُبُّ فِي قَلْبِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون هُوَ مَا جَعَلَهُ يَشْعُرُ بِالسُّخْطِ عِنْدَمَا لَمَّحَ لَهُ أَبُوهُ أَنَّهُ قَدْ يَأْخُذُ بُنْدُقِيَّتَهُ لِاصْطِيَادِ بوب وايت وَأُسْرَتِهِ؛ فَكَمَا تَرَوْنَ صَارَ الصَّبِيُّ صَدِيقًا لِبوب وايت وَأُسْرَتِهِ وَأَحَبَّهُمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ تَحَمُّلَ فِكْرَةِ وُقُوعِ أَذًى لِمَنْ يُحِبُّهُمْ. وَقَدْ رَدَّ عَلَى وَالِدِهِ بِاحْتِرَامٍ، وَلَكِنِ احْمَرَّ وَجْهُهُ وَانْعَكَسَ فِي صَوْتِهِ شُعُورُ السُّخْطِ، وَهَذَا نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْغَضَبِ. فِي وَاقِعِ الْأَمْرِ، ضَحِكَ الْمُزَارِعُ براون ضِحْكَةً خَافِتَةً عِنْدَمَا سَمِعَ رَدَّ ابْنِهِ، ثُمَّ اسْتَدَارَ وَمَدَّ يَدَهُ الْكَبِيرَةَ وَقَالَ: «لِنَتَصَافَحْ يا بُنَيَّ، لَقَدْ كُنْتُ أَخْتَبِرُكَ لِأَعْرِفَ رَأْيَكَ؛ فَقَدِ اعْتَدْتَ دَوْمًا أَنْ تَكُونَ مُغْرَمًا بِالصَّيْدِ بِشِدَّةٍ، وَكُنْتُ أَتَسَاءَلُ إِذَا كَانَ حُبُّكَ لِلصَّيْدِ أَوْ مُحَاوَلَةِ الصَّيْدِ أَقْوَى مِنْ حِسِّكَ بِالصَّوَابِ وَالْعَدْلِ. الْآنَ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَأَنَا سَعِيدٌ لِلْغَايَةِ. هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّ آلَ بوب وايت يَسْتَحِقُّونَ حِمَايَتَنَا؟»

احْمَرَّ وَجْهُ الْوَلَدِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ مِنَ الْفَرَحِ.

صَاحَ الْوَلَدُ: «يَا أَبِي، أَنَا سَعِيدٌ لِلْغَايَةِ لِأَنَّكَ لَا تُرِيدُ صَيْدَهُمْ وَأَكْلَهُمْ! كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَعْرِفَ أَنَّكَ تُضَايِقُنِي فَقَطْ. أَحْبَبْتُ الصَّيْدَ بِبُنْدُقِيَّتِي مِنْ قَبْلُ بِالْفِعْلِ، وَلَكِنَّ هَذَا عِنْدَمَا كُنْتُ أَجْهَلُ مَا أَعْرِفُهُ الْآنَ. كَانَ مِنَ الْمُمْتِعِ مُحَاوَلَةُ الْبَحْثِ عَنِ الطُّيُورِ وَرُؤْيَةُ إِنْ كُنْتُ أَسْتَطِيعُ إِصَابَتَهَا أَمْ لَا. كُنْتُ فَقَطْ أَعْتَقِدُ أَنَّهَا كَائِنَاتٌ بَرِّيَّةٌ صَالِحَةٌ لِلْأَكْلِ وَأَنَّهَا كَذَلِكَ كَائِنَاتٌ ذَكِيَّةٌ لِلْغَايَةِ؛ وَلِذَا كَانَ عَلَيَّ أَنْ أَتَفَوَّقَ عَلَيْهَا لِلنَّيْلِ مِنْهَا، وَلَمْ أُفَكِرْ قَطُّ أَنَّ لَدَيْهَا أَيَّ مَشَاعِرَ. لَكِنَّنِي الْآنَ أَعْلَمُ أَنَّهَا تَشْعُرُ بِالْحُبِّ وَالْخَوْفِ وَالْمُعَانَاةِ مِنَ الْأَلَمِ، وَتَعْمَلُ وَتَلْهُو وَتَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ وَالْحُزْنِ شَأْنُهَا شَأْنُ سَائِرِ الْبَشَرِ تَمَامًا. أَعْرِفُ ذَلِكَ لِأَنَّنِي رَاقَبْتُهُمْ؛ لِذَا لَا أُرِيدُ أَنْ أُوذِيَ أَحَدًا مِنْهُمْ أَوْ أَسْمَحَ لِأَحَدٍ بِأَذِيَّتِهِمْ شَأْنُهُمْ شَأْنُ الْبَشَرِ عِنْدِي. يَا إِلَهِي، كَمْ أُحِبُّهُمْ! وَلَنْ أَسْمَحَ أَنْ يَقَعَ لَهُمْ أَيُّ مَكْرُوهٍ مَهْمَا كَانَ الثَّمَنُ. أَنَا أَشْعُرُ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ لِأَنْ يَحْدُثَ لَهُمْ شَيْءٌ عِنْدَ بَدْءِ مَوْسِمِ الصَّيْدِ، هَلْ فِي اسْتِطَاعَتِنَا أَنْ نَفْعَلَ أَيَّ شَيْءٍ مِنْ أَجْلِهِمْ؟»

أَجَابَ الْمُزَارِعُ براون: «يُمْكِنُنَا وَضْعُ بَعْضِ اللَّافِتَاتِ لِتَحْذِيرِ الصَّيَّادِينَ مِنَ الِاقْتِرَابِ مِنْ مَزْرَعَتِنَا، وَمَنْعِ أَيِّ عَمَلِيَّاتِ صَيْدٍ بِالْبَنَادِقِ. ثُمَّ إِذَا كَانَ بوب وايت وَأُسْرَتُهُ أَذْكِيَاءَ بِمَا يَكْفِي وَمَكَثُوا فِي مَزْرَعَتِنَا، أَعْتَقِدُ أَنَّهُمْ سَيُصْبِحُونَ فِي أَمَانٍ، لَكِنْ إِذَا ذَهَبُوا إِلَى أَرَاضِي أُنَاسٍ آخَرِينَ فَمِنَ الْمُرَجَّحِ أَنْ يَصْطَادُوهُمْ، إِلَّا ...» ثُمَّ صَمَتَ الْمُزَارِعُ براون.

قَالَ الِابْنُ فِي حَمَاسٍ: «إِلَّا إِذَا أَقْنَعْتُ أَصْحَابَ الْأَرَاضِي الْمُحِيطَةِ بِنَا بِأَنْ يَضَعُوا اللَّافِتَاتِ وَيُبْعِدُوا الصَّيَّادِينَ، وَيَعِدُوا أَيْضًا بِأَلَّا يَصْطَادُوا أَفْرَادَ أُسْرَةِ بوب وايت!»

ابْتَسَمَ الْمُزَارِعُ براون: «بِالضَّبْطِ يَا بُنَيَّ. إِنَّهَا فُرْصَتُكَ لِرَدِّ الْجَمِيلِ؛ لِتَفْعَلَ شَيْئًا لِأَصْدِقَائِكَ الصِّغَارِ الَّذِينَ فَعَلُوا الْكَثِيرَ مِنْ أَجْلِنَا. غَدًا السَّبْتُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَدْرَسَةٌ، وَسَيَكُونُ لَدَيْكَ الْيَوْمُ كُلُّهُ لِتَرَى مَا يُمْكِنُ أَنْ تَفْعَلَهُ مَعَ الْجِيرَانِ لِإِنْقَاذِ بوب وايت وَعَائِلَتِهِ مِنَ الصَّيَّادِينَ. اسْمَعْ! إِنَّ بوب وايت بِمَنْزِلَةِ هِبَةٍ عَظِيمَةٍ؛ إِنَّ كُلًّا مِنَّا لَا يَفْعَلُ شَيْئًا سِوَى أَنَّهُ يَنْشُرُ رِسَالَتَهُ الَّتِي تَحُثُّ عَلَى الْبَهْجَةِ، لَكِنْ إِلَى جَانِبِ الْبَهْجَةِ الَّتِي يَبُثُّهَا فِي الْعَالَمِ، فَهُوَ يُقَدِّمُ إِسْهَامًا عَظِيمًا فِي كُلِّ يَوْمٍ. إِنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَقْتُلُ بوب وايت يَقْتُلُ بِذَلِكَ أَحَدَ أَعَزِّ أَصْدِقَائِنَا وَمُسَاعِدِينَا، وَالرَّصَاصَةُ الَّتِي سَيُطْلِقُهَا عَلَيْهِ سَتُؤْذِينَا أَكْثَرَ مِمَّا سَتُؤْذِي الطَّائِرَ الْمِسْكِينَ. وَالْآنَ، هَيَّا لِنَذْهَبَ إِلَى الْحَظِيرَةِ وَنَشْرَعَ فِي صُنْعِ اللَّافِتَاتِ.»

الفصل السابع عشر

يَوْمٌ مَشْئُومٌ

كَمْ هُوَ مُخْزٍ وَمُحْزِنٌ
أَنْ يَجِدَ الْبَشَرُ فِي الْوَحْشِيَّةِ
مُتْعَةً وَتَسْلِيَةً وَرِيَاضَةً!

لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ صَبَاحٌ أَكْثَرُ جَمَالًا مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْمُنْعِشِ مِنْ شَهْرِ أُكْتُوبَرَ، كَانَ مِنْ بَيْنِ تِلْكَ الْأَيَّامِ الَّتِي تَمْتَنُّ فِيهَا كَثِيرًا لِأَنَّكَ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ. شَعَرَ بوب وايت بِذَلِكَ، فَقَدْ كَانَ شُعُورُ بَهْجَةِ الْحَيَاةِ يُدَغْدِغُهُ بِمُجَرَّدِ أَنْ فَتَحَ عَيْنَيْهِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ. أَطْلَقَ صَفِيرًا مِنْ فَرْطِ السَّعَادَةِ، أَحَبَّ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ كُلَّهُ، كَمَا شَعَرَ بِأَنَّ الْعَالَمَ الْكَبِيرَ يُحِبُّهُ كَذَلِكَ. أَرَادَ أَنْ يُخْبِرَ الْعَالَمَ بِأَسْرِهِ بِمَا يَشْعُرُ بِهِ. كَانَتِ النَّسَمَاتُ الرَّقِيقَةُ الْمَرِحَةُ بَنَاتُ الرِّيَاحِ الْغَرْبِيَّةِ الْعَجُوزِ، الْقَادِمَةُ مِنْ عِنْدِ التِّلَالِ الْأُرْجُوَانِيَّةِ، تَلْهُو طَوَالَ الْيَوْمِ فِي الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ، وَأَخَذَتْ تَتَرَاقَصُ لِتُخْبِرَ بوب وايت كَمْ تُحِبُّهُ؛ مِمَّا جَعَلَ بوب وايت يَشْعُرُ بِسَعَادَةٍ أَكْبَرَ.

تَسَكَّعَ رَجُلٌ عَلَى طُولِ الطَّرِيقِ فِي اتِّجَاهِ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ جونز، وَكَانَ يَشْعُرُ بِالسَّعَادَةِ، لَكِنَّ سَعَادَتَهُ كَانَتْ مِنْ نَوْعٍ آخَرَ. قَالَ الرَّجُلُ لِلْكَلْبِ الَّذِي كَانَ يَمْشِي فِي إِثْرِهِ: «أَعْتَقِدُ أَنَّنَا سَنَحْظَى بِصَيْدٍ مُمْتِعٍ يَا رَفِيقِيَ الْعَجُوزَ.» ثُمَّ نَقَلَ بُنْدُقِيَّةً مُرِيعَةَ الْمَنْظَرِ مِنْ كَتِفٍ إِلَى الْأُخْرَى.

لَوْ كَانَ بوب وايت قَدْ فَهِمَ تَحْذِيرَ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون لَهُ، لَمَا كَانَ لِيَفْعَلَ أَبَدًا مَا فَعَلَهُ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ ذَلِكَ التَّحْذِيرَ؛ وَلِذَلِكَ قَرَّرَ فِي رَأْسِهِ الصَّغِيرِ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُحَلِّقَ بِجَنَاحَيْهِ، وَقَادَ أُسْرَتَهُ مُبَاشَرَةً إِلَى أَرْضِ الْمُزَارِعِ جونز. كَانَ بوب وايت قَدْ ذَهَبَ إِلَى

هُنَاكَ كَثِيرًا مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَرَ ثَمَّةَ سَبَبًا يَمْنَعُهُ مِنَ الذَّهَابِ إِلَى هُنَاكَ كَمَا يَحْلُو لَهُ؛ فَلَمْ يَقَعْ لَهُ مَكْرُوهٌ فِي الزِّيَارَاتِ السَّابِقَةِ؛ لِذَلِكَ قَادَهُمْ مُبَاشَرَةً إِلَى حَقْلِ الْقَمْحِ الْمَحْصُودِ الْخَاصِّ بِالْمُزَارِعِ جونز، وَسُرْعَانَ مَا انْشَغَلَ هُوَ وَأُسْرَتُهُ لِلْغَايَةِ فِي الْتِقَاطِ حُبُوبِ الْقَمْحِ الْمُتَنَاثِرَةِ، وَابْتَهَجُوا لِمِثْلِ هَذَا الْإِفْطَارِ الشَّهِيِّ.

وَوَسْطَ ذَلِكَ سَمِعَ بوب وايت وَقْعَ أَقْدَامٍ، فَمَدَّ رَقَبَتَهُ لِيَخْتَلِسَ النَّظَرَ عَلَى امْتِدَادِ الْحَقْلِ، وَفَجْأَةً ذَابَتْ كُلُّ السَّعَادَةِ وَالْإِشْرَاقِ بِدَاخِلِهِ؛ إِذْ رَأَى كَلْبًا ذَا أَنْفٍ مُلْتَصِقٍ بِالْأَرْضِ، وَكَانَ يَتْبَعُ أَثَرَ أَحَدِ صِغَارِ بوب وايت أَثْنَاءَ رَكْضِهِ فِي الْحَقْلِ لِالْتِقَاطِ الْقَمْحِ، وَفَجْأَةً وَقَفَ الْكَلْبُ بِلَا حَرَاكٍ، وَأَشَارَ بِإِحْدَى سَاقَيْهِ الْأَمَامِيَّتَيْنِ وَأَنْفِهِ مُبَاشَرَةً إِلَى بُقْعَةٍ مُحَدَّدَةٍ. أَدْرَكَ بوب وايت أَنَّ أَحَدَ صِغَارِهِ كَانَ يَجْثُمُ عَلَى الْأَرْضِ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ. وَمِنْ خَلْفِ الْكَلْبِ الَّذِي وَقَفَ مُتَجَمِّدًا فِي مَكَانِهِ، جَاءَ رَجُلٌ يَمْشِي بِبُطْءٍ وَحَذَرٍ يَحْمِلُ بُنْدُقِيَّةً مُرِيعَةً فِي وَضْعِ الِاسْتِعْدَادِ، وَعِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْكَلْبِ أَطْلَقَهُ. لَمْ يَكُنْ فِي مَقْدُورِ الصَّغِيرِ الْجَاثِمِ فِي مَكَانِهِ سِوَى الطَّيَرَانِ، فَارْتَفَعَ فِي الْهَوَاءِ وَحَلَّقَ بِجَنَاحَيْهِ السَّرِيعَيْنِ.

دَوَّى صَوْتُ الْبُنْدُقِيَّةِ الْمُرِيعَةِ، وَسَقَطَ الطَّائِرُ الْبُنِّيُّ الصَّغِيرُ. قَفَزَ بَاقِي صِغَارِ بوب وايت فِي خَوْفٍ فَظِيعٍ عِنْدَ سَمَاعِهِمْ صَوْتَ الرَّصَاصِ، فَلَمْ يَكُونُوا قَدْ سَمِعُوا مِنْ قَبْلُ صَوْتًا مُخِيفًا كَهَذَا. دَوَّى صَوْتُ الْبُنْدُقِيَّةِ مَرَّةً أُخْرَى، وَلَكِنْ هَذِهِ الْمَرَّةَ لَمْ يَسْقُطْ سِوَى بَعْضِ الرِّيشِ الْبُنِّيِّ. انْتَظَرَ بوب وايت وَزَوْجَتُهُ بَعْدَ دَوِيِّ الرَّصَاصَةِ الثَّانِيَةِ حَتَّى يَطِيرَا أَيْضًا؛ فَلَقَدْ تَعَلَّمَا أَنَّهُمَا سَيَكُونَانِ فِي أَمَانٍ عَلَى الْأَرْجَحِ لِبَعْضِ الْوَقْتِ بَعْدَ إِطْلَاقِ الرَّصَاصَةِ الثَّانِيَةِ.

تَفَرَّقَتْ أُسْرَةُ بوب وايت فِي جَمِيعِ الْجِهَاتِ كَمَا كَانُوا قَدْ تَعَلَّمُوا عِنْدَ وُجُودِ الْخَطَرِ. طَارَ بوب وايت مُبَاشَرَةً إِلَى حَقْلِ الْقَمْحِ الْخَاصِّ بِالْمُزَارِعِ براون، وَهُنَاكَ بَدَأَ فِي النِّدَاءِ؛ أَجَابَ وَاحِدٌ تِلْوَ الْآخَرِ مِنْ أُسْرَتِهِ مَا عَدَا الصَّغِيرَ الَّذِي سَقَطَ فِي أَوَّلِ طَلْقَةٍ.

قَالَ الصَّيَّادُ: «أَصَبْتُ وَاحِدًا عَلَى أَيِّ حَالٍ.» بَيْنَمَا كَانَ يُعِيدُ حَشْوَ بُنْدُقِيَّتِهِ الْمُرِيعَةِ، وَكَانَ يَبْدُو سَعِيدًا وَهُوَ ذَاهِبٌ لِمُسَاعَدَةِ كَلْبِهِ لِاصْطِيَادِ طَائِرِ السُّمَّانِ الصَّغِيرِ الَّذِي قَدْ سَقَطَ عِنْدَ الدَّوِيِّ الْأَوَّلِ الْفَظِيعِ.

الفصل الثامن عشر

الصَّيَّادُ الْمُحْبَطُ

إِيَّاكَ أَنْ تُعَلِّقَ آمَالَكَ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تَتَأَكَّدَ بِذَاتِكَ
فَكَثِيرًا مَا سَتَخِيبُ تَوَقُّعَاتُكَ، وَنَادِرًا مَا سَتُرْضِي طُمُوحَاتِكَ.

ابْتَسَمَ الصَّيَّادُ الَّذِي أَوْقَعَ بِأَحَدِ صِغَارِ بوب وايت، وَسَارَ فِي سَعَادَةٍ لِحَمْلِ الطَّائِرِ الْبُنِّيِّ الصَّغِيرِ الْمِسْكِينِ. كَانَ يُمَارِسُ مَا يَدْعُوهُ رِيَاضَةً، لَمْ يَخْطُرْ بِبَالِهِ قَطُّ التَّفْكِيرُ بِمَا سَتَشْعُرُ بِهِ أُسْرَةُ بوب وايت. أَغْلَبُ الظَّنِّ أَنَّهُ لَمْ يُفَكِّرْ أَنَّ لَدَيْهِمِ أَيَّ مَشَاعِرَ، كَانَ سَعِيدًا بِأَنَّهُ أَصَابَ الْهَدَفَ، وَكَانَ سَعِيدًا أَيْضًا لِأَنَّهُ ظَنَّ أَنَّهُ حَظِيَ بِطَائِرٍ بُنِّيٍّ صَغِيرٍ لِيَأْكُلَهُ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ بِالطَّبْعِ لَمْ يَكُنْ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ؛ حَيْثُ تَتَوَافَرُ لَدَيْهِ أَشْيَاءُ أُخْرَى لِيَأْكُلَهَا.

لَكِنْ عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي رَأَى فِيهِ بوب وايت الصَّغِيرَ يَسْقُطُ، لَمْ يَجِدِ الطَّائِرَ الْبُنِّيَّ الصَّغِيرَ. أَجَلْ، لَمْ يَجِدْ أَيَّ أَثَرٍ هُنَاكَ لِلطَّائِرِ الْبُنِّيِّ الصَّغِيرِ سِوَى بَعْضِ الرِّيشِ الْبُنِّيِّ، وَهَكَذَا لَمْ يَكُنِ الصَّيَّادُ قَدْ قَتَلَ بوب وايت الصَّغِيرَ كَمَا اعْتَقَدَ، لَكِنَّهُ قَدْ كَسَرَ أَحَدَ جَنَاحَيْهِ فَحَسْبُ، وَلَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَةِ الطَّائِرِ الطَّيَرَانُ. لَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ خَطْبٌ فِي قَدَمَيْهِ، وَفَوْرَ سُقُوطِهِ عَلَى الْأَرْضِ جَرَى بِأَقْصَى سُرْعَةٍ لَدَيْهِ بَيْنَ الْقَشِّ؛ لِذَلِكَ لَمْ يَكُنْ بوب وايت الصَّغِيرُ فِي الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ الصَّيَّادُ يَبْحَثُ فِيهِ.

بِالطَّبْعِ سَاعَدَهُ كَلْبُهُ فِي الْبَحْثِ عَنِ الطَّائِرِ الصَّغِيرِ، وَبِأَنْفِهِ الْبَارِعِ عَثَرَ سَرِيعًا عَلَى رَائِحَةِ بوب وايت الصَّغِيرِ وَاتَّبَعَهَا بِشَغَفٍ. تَصَادَفَ أَنَّهُ بِالْقُرْبِ مِنْ مَكَانِ سُقُوطِ بوب وايت الصَّغِيرِ يُوجَدُ بَيْتٌ قَدِيمٌ لِلْخُلْدِ جوني، وَكَانَتِ الرِّمَالُ تُحِيطُ بِمَدْخَلِ الْبَيْتِ. إِنَّ الرِّمَالَ لَا تَحْتَفِظُ بِالرَّائِحَةِ، لَكِنْ لَمْ يَكُنْ بوب وايت الصَّغِيرُ يَعْلَمُ هَذَا، لَمْ يَكُنْ قَدْ عَاشَ

لِوَقْتٍ طَوِيلٍ لِيَتَعَلَّمَ كُلَّ مَا يَجِبُ عَلَى طُيُورِ السُّمَّانِ تَعَلُّمُهُ، لَكِنَّهُ رَأَى الْمَدْخَلَ الْمَفْتُوحَ لِلْبَيْتِ، فَرَكَضَ فَوْقَ الرِّمَالِ الصَّفْرَاءِ نَحْوَ مَدْخَلِ الْبَيْتِ وَاجْتَازَ دَاخِلَهُ مَسَافَةً قَصِيرَةً، حَيْثُ اخْتَبَأَ أَسْفَلَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الْبُنِّيَّةِ الْجَافَّةِ، الَّتِي حَمَلَتْهَا الرِّيَاحُ إِلَى هُنَاكَ. كَانَ لَوْنُهُ مِثْلَ لَوْنِ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ إِلَى حَدٍّ بَعِيدٍ بَيْنَمَا كَانَ يَجْلِسُ الْقُرْفُصَاءَ بِالْقُرْبِ مِنَ الْأَرْضِ، وَضَمَّ رِيشَهُ حَوْلَ جَسَدِهِ، وَبِهَذَا كَانَ يَقُومُ بِعَمَلٍ حَكِيمٍ، بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْ ذَلِكَ حِينَهَا؛ فَعِنْدَمَا ضَمَّ رِيشَهُ إِلَى جَسَدِهِ هَكَذَا مَنَعَ انْبِعَاثَ رَائِحَتِهِ الَّتِي قَدْ تَدُلُّ أَنْفَ الْكَلْبِ الْفُضُولِيِّ عَلَى مَكَانِهِ.

فَقَدَ الْكَلْبُ الرَّائِحَةَ عِنْدَ حَافَةِ الرِّمَالِ، وَلَمْ يُفَكِّرْ هُوَ أَوِ الصَّيَّادُ فِي النَّظَرِ فِي الْحُفْرَةِ الْقَدِيمَةِ؛ لِذَلِكَ بَيْنَمَا كَانَا يَبْحَثَانِ، ظَلَّ بوب وايت الصَّغِيرُ فِي مَكَانِهِ دُونَ حَرَاكٍ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّ جَنَاحَهُ الْمَكْسُورَ كَانَ يُؤْلِمُهُ بِشِدَّةٍ؛ مِمَّا جَعَلَ عَيْنَيْهِ تَفِيضَانِ بِالدُّمُوعِ. وَأَخِيرًا اسْتَسْلَمَ الصَّيَّادُ؛ فَقَدْ كَانَ مُتَلَهِّفًا لِصَيْدِ الْمَزِيدِ.

قَالَ دُونَ أَنْ يُفَكِّرَ عَلَى الْإِطْلَاقِ فِي الْأَوْجَاعِ الَّتِي يُسَبِّبُهَا الْجُرْحُ: «لَا بُدَّ أَنَّنِي جَرَحْتُهُ فَقَطْ، فِي غَالِبِ الْأَمْرِ سَيَلْتَهِمُهُ ثَعْلَبٌ. أَنَا أَثِقُ فِي أَنَّنِي سَأَقْتُلُ الطَّائِرَ الْمَرَّةَ الْقَادِمَةَ!»

وَبِهَذَا أَرْسَلَ كَلْبَهُ لِيُحَاوِلَ الْعُثُورَ عَلَى إِخْوَةِ وَأَخَوَاتِ بوب وايت الصَّغِيرِ، وَكَانَتْ بُنْدُقِيَّتُهُ الْمُرِيعَةُ فِي وَضْعِ الِاسْتِعْدَادِ لِإِطْلَاقِ النَّارِ فَوْرَ رُؤْيَةِ أَحَدِهِمْ. بَيْنَمَا يُمَارِسُ ذَلِكَ الصَّيَّادُ رِيَاضَتَهُ الْعَظِيمَةَ، كَانَ بوب وايت الْبُنِّيُّ الصَّغِيرُ يَرْقُدُ فِي بَهْوِ بَيْتِ الْخُلْدِ جوني الْقَدِيمِ يَكَادُ يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَلَمِ وَالْخَوْفِ الشَّدِيدَيْنِ. إِنَّ الذُّعْرَ الَّذِي مَرَّ بِهِ شَيْءٌ سَيِّئٌ بِمَا يَكْفِي، لَكِنَّ مَا زَادَ الطِّينَ بِلَّةً هُوَ جَنَاحُهُ الْمَكْسُورُ كَذَلِكَ؛ وَلِهَذَا شَعَرَ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ بِالْعَجْزِ التَّامِّ؛ فَلَا يُوجَدُ وَضْعٌ أَسْوَأُ مِمَّا هُوَ فِيهِ.

الفصل التاسع عشر

خَائِفٌ وَمَجْرُوحٌ وَوَحِيدٌ

أَنْ تَجْرَحَ الْآخَرِينَ دُونَ مُبَرِّرٍ
هَذِهِ وَحْشِيَّةٌ وَعَمَلٌ مُتَهَوِّرٌ.

جَلَسَ بوب وايت الصَّغِيرُ مُنْكَمِشًا تَحْتَ أَوْرَاقِ الشَّجَرِ الذَّابِلَةِ الَّتِي حَمَلَتْهَا الرِّيَاحُ إِلَى بَابِ الْبَيْتِ الْقَدِيمِ الَّذِي بَنَاهُ الْخُلْدُ جوني فِي حَقْلِ الْقَمْحِ الْخَاصِّ بِالْمُزَارِعِ جونز. فَاضَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ؛ دُمُوعِ الْخَوْفِ وَالْأَلَمِ، حَاوَلَ أَنْ يَتَغَلَّبَ عَلَى دُمُوعِهِ وَأَنْ يُفَكِّرَ مَا الَّذِي سَيَفْعَلُهُ بَعْدَ ذَلِكَ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّفْكِيرَ مِنْ شِدَّةِ ارْتِبَاكِهِ. الشُّعُورُ بِالِارْتِبَاكِ يَعْنِي الشُّعُورَ بِالِانْزِعَاجِ لِدَرَجَةِ أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ فَهْمَ مَا قَدْ حَدَثَ أَوْ مَا الَّذِي يَحْدُثُ، وَهَذَا بِالضَّبْطِ مَا يَمُرُّ بِهِ بوب وايت الصَّغِيرُ.

فَقَدْ كَانَ يَلْتَقِطُ حُبُوبَ الْإِفْطَارِ وَهُوَ يَمْرَحُ مَعَ أَشِقَّائِهِ فِي صَبَاحِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ شَهْرِ أُكْتُوبَرَ الْجَمِيلِ، وَدُونِ إِنْذَارٍ وَجَدَ كَلْبًا ضَخْمًا يُهَدِّدُهُ بِالْإِمْسَاكِ بِهِ، فَلَجَأَ إِلَى الطَّيَرَانِ بِاسْتِخْدَامِ جَنَاحَيْهِ السَّرِيعَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ، وَعِنْدَمَا فَعَلَ ذَلِكَ رَأَى مَخْلُوقًا ضَخْمًا يَقِفُ عَلَى سَاقَيْنِ يُصَوِّبُ نَحْوَهُ عَصًا، لَكِنَّهُ لَمْ يَخَفْ؛ فَقَدْ رَأَى طَوَالَ الصَّيْفِ مَخْلُوقَاتٍ تَقِفُ عَلَى سَاقَيْنِ مِثْلَهُ، وَلَمْ يُلْحِقُوا بِهِ أَيَّ أَذًى. وَبِالطَّبْعِ أَصْبَحَ يَعْتَبِرُهُمْ أَصْدِقَاءَهُ، أَلَمْ يَأْتِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون لِمُشَاهَدَتِهِ هُوَ وَأَشِقَّائِهِ كُلَّ يَوْمٍ، وَلَمْ يُخِفْهُمْ وَلَوْ مَرَّةً وَاحِدَةً؟ لِذَلِكَ لَمْ يَخْشَ ذَلِكَ الْمَخْلُوقَ أَيْضًا.

ثُمَّ مِنْ نِهَايَةِ عَصَاهُ الَّتِي كَانَتْ مُصَوَّبَةً نَحْوَهُ انْدَفَعَ نَارٌ وَدُخَانٌ، وَدَوَّى صَوْتٌ مُفْزِعٌ. أَصَابَهُ شَيْءٌ مَا، شَيْءٌ لَسَعَهُ وَأَحْرَقَهُ وَمَزَّقَ جَسَدَهُ الرَّقِيقَ، وَأَحَدُ جَنَاحَيْهِ السَّرِيعَيْنِ

الْقَوِيَّتَيْنِ الصَّغِيرَيْنِ قَدِ أَصْبَحَ بِلَا فَائِدَةٍ؛ لِذَلِكَ سَقَطَ بِقُوَّةٍ عَلَى الْأَرْضِ. مِنْ ثَمَّ جَرَى بِسُرْعَةٍ حَتَّى وَجَدَ هَذَا الْمَخْبَأَ، وَكَانَ قَلْبُهُ يَدُقُّ بِقُوَّةٍ وَبِسُرْعَةٍ فِي خَوْفٍ، وَقَدِ انْكَمَشَ فَوْقَ الْأَرْضِ أَسْفَلَ الْأَوْرَاقِ الْبُنِّيَّةِ اللَّطِيفَةِ، بَيْنَمَا كَانَ الْكَلْبُ الضَّخْمُ وَالْمَخْلُوقُ ذُو السَّاقَيْنِ يَبْحَثَانِ عَنْهُ. وَالْآنَ اسْتَسْلَمَا وَرَحَلَا، عَلَى الْأَقَلِّ لَمْ يَكُنْ يَسْمَعُهُمَا.

مَا الَّذِي كَانَ يَعْنِيهِ كُلُّ ذَلِكَ؟! لِمَاذَا قَدْ حَدَثَ هَذَا الشَّيْءُ الْمُرِيعُ لَهُ؟! مَا الَّذِي فَعَلَهُ لِيُحَاوِلَ قَتْلَهُ الْمَخْلُوقُ ذُو السَّاقَيْنِ بِوَاسِطَةِ الْعَصَا الْمُرِيعَةِ الَّتِي تُطْلِقُ نِيرَانًا؟! كَانَ الْيَوْمُ جَمِيلًا لِلْغَايَةِ، وَلَكِنْ تَلَاشَى مَا كَانَ يَحْمِلُهُ مِنْ بَهْجَةٍ وَحَلَّ مَحَلَّهَا الْفَزَعُ. مَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَهُ الْآنَ؟ مَا الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَفْعَلَهُ؟ أَيْنَ أُمُّهُ وَأَبُوهُ وَأَشِقَّاؤُهُ؟ هَلْ وَقَعَ لَهُمْ مَكْرُوهٌ مِثْلَمَا حَدَثَ مَعَهُ؟ هَلْ سَيَرَاهُمْ مَرَّةً أُخْرَى؟

سَمِعَ الْآنَ صَفِيرًا حَزِينًا وَقَلِقًا مِنْ بَعِيدٍ، كَانَ صَفِيرَ وَالِدِهِ بوب وايت؛ كَانَ يُنَادِي عَائِلَتَهُ، وَبَعْدَهَا سَمِعَ صَفِيرًا يُلَبِّي النِّدَاءَ وَعَلِمَ أَنَّ الْآخَرِينَ بِخَيْرٍ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجْرُؤْ عَلَى أَنْ يُجِيبَ. زَحَفَ إِلَى الْمَدْخَلِ وَاخْتَلَسَ النَّظَرَ، اسْتَطَاعَ رُؤْيَةَ الْكَلْبِ الضَّخْمِ وَالْمَخْلُوقِ الْوَحْشِيِّ ذِي السَّاقَيْنِ وَمَعَهُ الْعَصَا النَّارِيَّةُ وَهُمَا بَعِيدَانِ فِي الْجَانِبِ الْآخَرِ مِنَ الْحَقْلِ. حَاوَلَ أَنْ يَقْفِزَ فِي الْهَوَاءِ، وَأَنْ يُحَلِّقَ كَمَا اعْتَادَ أَنْ يَفْعَلَ، لَكِنَّهُ تَخَبَّطَ بِلَا حَوْلٍ وَلَا قُوَّةٍ. كَانَ أَحَدُ جَنَاحَيْهِ بِلَا جَدْوَى، وَأَخَذَ يَجُرُّهُ عَلَى الْأَرْضِ، آلَمَهُ لِلْغَايَةِ حَتَّى غُشِيَ عَلَيْهِ.

أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ وَظَلَّ بِلَا حَرَاكٍ لِعِدَّةِ دَقَائِقَ يَلْهَثُ، ثُمَّ خَطَرَتْ عَلَى بَالِهِ فِكْرَةٌ مَلَأَتْهُ بِالْخَوْفِ الشَّدِيدِ؛ إِذَا تَصَادَفَ مُرُورُ الثَّعْلَبِ ريدي أَوِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ أَوِ الصَّقْرِ أحمر الذيل فِي الْجِوَارِ، فَكَيْفَ سَيَهْرُبُ دُونَ اسْتِخْدَامِ جَنَاحَيْهِ؟ لَيْتَهُ لَمْ يَكُنْ وَحْدَهُ! إِذَا اسْتَطَاعَ فَقَطْ أَنْ يَصِلَ إِلَى وَالِدَيْهِ، فَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يُسَاعِدَاهُ. كَافَحَ لِيَقِفَ عَلَى قَدَمَيْهِ، وَبَدَأَ يَسِيرُ فِي اتِّجَاهِ الصَّفِيرِ الْبَعِيدِ. كَانَ يَسِيرُ بِبُطْءٍ؛ لِأَنَّهُ كَانَ ضَعِيفًا وَهَزِيلًا وَجَنَاحُهُ الْمُتَدَلِّي يَنْزَلِقُ بَيْنَ الْقَشِّ الْمُدَبَّبِ الَّذِي آلَمَهُ بِشِدَّةٍ حَتَّى بَدَا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَحَمُّلَ الْأَلَمِ. كَثِيرًا مَا انْكَمَشَ فَوْقَ الْأَرْضِ، وَكَانَ يَلْهَثُ فِي قَلَقٍ وَأَلَمٍ وَخَوْفٍ، ثُمَّ يَشْرَعُ فِي السَّيْرِ مُجَدَّدًا، كَانَ ظَمْآنَ بِشِدَّةٍ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَاءٌ لِيَشْرَبَهُ، وَفِي النِّهَايَةِ زَحَفَ تَحْتَ السِّيَاجِ؛ وَمِنْ ثَمَّ فَجْأَةً وَقَفَ أَمَامَهُ مُبَاشَرَةً أَحَدُ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ! وَقْتَهَا فَقَدَ بوب وايت الصَّغِيرُ أَيَّ أَمَلٍ.

الفصل العشرون

ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يُعَبِّرُ عَنْ رَأْيِهِ

كَثِيرًا مَا تَغْلِبُنَا الْحِيرَةُ فِي أُمُورٍ؛
فَلَا نَعْرِفُ إِلَى خَيْرٍ أَمْ شَرٍّ سَتَئُولُ.

عِنْدَمَا زَحَفَ بوب وايت الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ وَهُوَ يَتَأَلَّمُ أَسْفَلَ السِّيَاجِ، كَانَ قَدْ دَخَلَ إِلَى أَرْضِ الْمُزَارِعِ براون، وَلَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ذَلِكَ. وُضِعَتْ عِنْدَ الْأَرْضِ لَافِتَةٌ تُحَذِّرُ جَمِيعَ الصَّيَّادِينَ مِنْ الِاقْتِرَابِ، وَأَنَّ الصَّيْدَ مَحْظُورٌ هُنَا، وَعِنْدَمَا نَظَرَ الصَّغِيرُ إِلَى أَعْلَى وَرَأَى أَمَامَهُ وَاحِدًا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ، وَكَانَ يُشْبِهُ صَاحِبَ الْعَصَا النَّارِيَّةِ الْمُخِيفَةِ، تَبَدَّدَتْ جَمِيعُ آمَالِهِ، فَقَدْ تَمَكَّنَ الْحُزْنُ مِنْ قَلْبِهِ وَالْمُعَانَاةُ الشَّدِيدَةُ، حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعِ التَّعَرُّفَ عَلَى ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

كَانَ مَنْ يَقِفُ أَمَامَهُ هُوَ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون. كَانَ الْوَلَدُ يَشْعُرُ بِالْقَلَقِ الشَّدِيدِ خَشْيَةَ أَنْ يَأْتِيَ بَعْضُ الصَّيَّادِينَ إِلَى أَرْضِ وَالِدِهِ بِالرَّغْمِ مِنْ وُجُودِ اللَّافِتَاتِ، كَانَ قَدْ ذَهَبَ إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ بِمُجَرَّدِ أَنْ تَنَاوَلَ فَطُورَهُ، وَرَأَى الصَّيَّادَ فِي أَرْضِ الْمُزَارِعِ جونز، وَسَمِعَ دَوِيَّ إِطْلَاقِ النَّارِ. تَمَنَّى الْوَلَدُ مِنْ كُلِّ قَلْبِهِ أَنْ يَكُونَ الصَّيَّادُ قَدْ أَخْطَأَ فِي إِصَابَةِ الْهَدَفِ. نَظَرَ إِلَى الْأَسْفَلِ، وَرَأَى الطَّائِرَ الصَّغِيرَ الْمُعَذَّبَ، وَعَرَفَ أَنَّ الصَّيَّادَ لَمْ يُخْطِئِ الْهَدَفَ، وَتَمَلَّكَ الْغَضَبُ الشَّدِيدُ قَلْبَهُ. نَسِيَ تَمَامًا وَقْتَهَا أَنَّهُ نَفْسَهُ اعْتَادَ عَلَى الصَّيْدِ بِبُنْدُقِيَّةٍ مُخِيفَةٍ قَبْلَ أَنْ يَتَعَلَّمَ أَنْ يَعْرِفَ وَيُحِبَّ سُكَّانَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ وَالْغَابَةِ الْخَضْرَاءِ وَالْمَرْعَى الْقَدِيمِ.

تَوَقَّفَ الْوَلَدُ، وَبِرِفْقٍ شَدِيدٍ حَمَلَ بوب وايت الصَّغِيرَ الَّذِي أَغْلَقَ عَيْنَيْهِ وَاطْمَأَنَّ الْآنَ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ سُرْعَانَ مَا سَيَنْتَهِي.

قَالَ الْوَلَدُ: «أَيُّهَا الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ! أَيُّهَا الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ!» بَيْنَمَا نَظَرَ إِلَى الْجَنَاحِ الْمُمَزَّقِ وَالْمَكْسُورِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَى الصَّيَّادِ عَلَى الْجِهَةِ الْأُخْرَى وَتَجَهَّمَ فِي ضَرَاوَةٍ. وَقْتَهَا رَآهُ الصَّيَّادُ عَلَى الْفَوْرِ وَاتَّجَهَ نَحْوَهُ. كَانَ الصَّيَّادُ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ إِذَا أَعْطَى ابْنَ الْمُزَارِعِ براون الْمَالَ، فَسَيَسْمَحُ لَهُ بِالصَّيْدِ فِي أَرْضِ أَبِيهِ، فَكَانَ يَعْلَمُ أَنْ بوب وايت وَأُسْرَتَهُ قَدْ طَارُوا إِلَى هُنَاكَ. عِنْدَمَا وَصَلَ إِلَى السِّيَاجِ، رَأَى بوب وايت الصَّغِيرَ فِي يَدَيِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون.

صَاحَ الصَّيَّادُ فِي دَهْشَةٍ: «مَرْحَبًا! أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا طَائِرِي!»

رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «أَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَيْسَ كَذَلِكَ!»

أَجَابَ الصَّيَّادُ: «بَلْ إِنَّهُ كَذَلِكَ، أَطْلَقْتُ النَّارَ عَلَيْهِ مُنْذُ بُرْهَةٍ قَصِيرَةٍ، وَلَكِنَّهُ هَرَبَ مِنِّي، سَأَكُونُ مُمْتَنًّا لَكَ إِنْ أَعْطَيْتَنِي إِيَّاهُ أَيُّهَا الْفَتَى.»

رَدَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «لَنْ تَمْتَنَّ لِي عَلَى الْإِطْلَاقِ، رُبَّمَا هُوَ الطَّائِرُ الَّذِي أَطْلَقْتَ عَلَيْهِ النَّارَ، وَهُوَ مَا عَلَيْكَ أَنْ تَخْجَلَ مِنْهُ، لَكِنَّهُ لَيْسَ مِلْكَكَ، إِنَّهُ لِي. عَثَرْتُ عَلَيْهِ فِي أَرْضِنَا، وَإِنْ كَانَ يَنْتَمِي إِلَى أَحَدٍ، فَهُوَ يَنْتَمِي إِلَيَّ.»

رَغِبَ الصَّيَّادُ فِي أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهِ بِحِدَّةٍ، وَلَكِنَّهُ تَذَكَّرَ أَنَّهُ أَرَادَ الْحُصُولَ مِنَ الْفَتَى عَلَى إِذْنٍ لِلصَّيْدِ فِي أَرْضِ الْمُزَارِعِ براون؛ لِذَلِكَ تَرَاجَعَ عَنِ الرَّدِّ الْغَاضِبِ وَقَالَ عِوَضًا عَنْ ذَلِكَ: «لِمَ لَا تَدُقُّ عُنُقَهُ؟ إِذَا اسْتَطَعْتَ إِقْنَاعَ وَالِدِكَ بِالسَّمَاحِ لِي بِالصَّيْدِ هَنَا، فَسَوْفَ أَقْتُلُ وَاحِدًا لَكَ، وَسَوْفَ تَحْصُلُ عَلَى عَشَاءٍ شَهِيٍّ.»

احْمَرَّ وَجْهُ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون وَصَاحَ: «إِيَّاكَ أَنْ تَعْبُرَ هَذَا السِّيَاجَ وَتَطَأَ بِقَدَمَيْكَ هُنَا! يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَعْرِفَ أَنَّنِي أَعَزُّ صَدِيقٍ لَدَى أُسْرَةِ طَائِرِ السُّمَّانِ بوب وايت، لَقَدْ عَمِلُوا لَدَيَّ طَوَالَ الصَّيْفِ. وَهَلْ تَظُنُّ أَنَّنِي سَوْفَ أَسْمَحُ بِأَنْ يُصِيبَهُمْ مَكْرُوهٌ بَيْنَمَا يُمْكِنُنِي مَنْعُ ذَلِكَ؟ انْظُرْ كَيْفَ يَتَعَذَّبُ الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ وَأَنْتَ فَعَلْتَ بِهِ هَذَا مِنْ بَابِ مُمَارَسَةِ الرِّيَاضَةِ! يَسْمَحُ لَكَ الْقَانُونُ بِصَيْدِهِمْ، وَلَكِنَّهُ قَانُونٌ جَائِرٌ، إِنَّهُ قَانُونٌ مُرِيعٌ. لَوْ كَانُوا يَتَسَبَّبُونَ فِي أَذًى لَاخْتَلَفَ الْأَمْرُ، وَلَكِنَّهُمْ لَا يُسَبِّبُونَ أَيَّ أَذًى، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ عَمِلُوا لَدَيْنَا طَوَالَ الصَّيْفِ، فَهَلْ عِنْدَمَا نَحْصُدُ الْمَحْصُولَ الَّذِي سَاعَدُونَا فِي الْحِفَاظِ عَلَيْهِ نَسْمَحُ

بَعْدَ ذَلِكَ بِصَيْدِهِمْ؟! لَا يُمْكِنُ صَيْدُهُمْ عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ، وَأُرِيدُكَ أَنْ تَرْحَلَ مِنْ هُنَا عَلَى الْفَوْرِ.»

وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَشْتَاطَ الصَّيَّادُ غَضَبًا، ضَحِكَ بِشِدَّةٍ وَقَالَ: «حَسَنًا، سَوْفَ أَبْتَعِدُ عَنْ أَرْضِكَ يَا بُنَيَّ. لَكِنْ لَا تَأْخُذْكَ الْحَمَاسَةُ هَكَذَا، فَهُمْ مُجَرَّدُ طُيُورٍ، وَخُلِقُوا كَيْ نَصْطَادَهُمْ.»

رَدَّ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون: «إِنَّهُمْ مَخْلُوقَاتٌ مِثْلُكَ! لَدَيْهِمْ مَشَاعِرُ مِثْلُكَ، وَهَذَا الصَّغِيرُ يَرْتَجِفُ بِضَعْفٍ فِي يَدَيَّ. لَنْ أَدُقَّ عُنُقَهُ، بَلْ سَوْفَ أَذْهَبُ لِعِلَاجِهِ.» وَبِهَذَا أَدَارَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون ظَهْرَهُ إِلَى الصَّيَّادِ وَسَارَ إِلَى الْمَنْزِلِ، وَكَانَ بوب وايت الصَّغِيرُ الْمِسْكِينُ لَا يَفْهَمُ مَا يَجْرِي؛ لِذَا ظَنَّ أَنَّهُ انْتَهَى أَمْرُهُ.

الفصل الحادي والعشرون

مَاذَا حَدَثَ لِبوب وايت الصَّغِيرِ؟

أَغْلَقَ بوب وايت الصَّغِيرُ عَيْنَيْهِ بِقُوَّةٍ بِسَبَبِ فَزَعِهِ الشَّدِيدِ، بَيْنَمَا كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَحْمِلُهُ. تَعَامَلَ مَعَهُ الْوَلَدُ بِرِفْقٍ شَدِيدٍ، وَبَعْدَ بُرْهَةٍ بَدَأَ الطَّائِرُ الصَّغِيرُ يَهْدَأُ قَلِيلًا بَيْنَ رَاحَةِ الْيَدِ الدَّافِئَةِ الَّتِي تَحْمِلُهُ، وَبَيْنَ الْحِينِ وَالْآخَرِ كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَتَحَسَّسُ رِيشَهُ وَرَأْسَهُ الصَّغِيرَ بِرِفْقٍ وَيَقُولُ: «مِسْكِينٌ أَيُّهَا الصَّغِيرُ!»

ذَهَبَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون إِلَى الْبَيْتِ مُبَاشَرَةً، وَبِرِفْقٍ شَدِيدٍ لِلْغَايَةِ نَظَّفَ جِرَاحَ بوب وايت الصَّغِيرِ، ثُمَّ أَعَادَ عِظَامَ الْجَنَاحِ الْمَكْسُورِ إِلَى مَكَانِهَا بِرِفْقٍ قَدْرَ الْمُسْتَطَاعِ، وَضَمَّهَا بِشَرَائِحَ صَغِيرَةٍ مِنَ الْخَشَبِ الرَّفِيعِ حَتَّى لَا تَنْزَلِقَ. كَانَتْ تُؤْلِمُهُ بِشِدَّةٍ، وَلَمْ يَكُنْ بوب وايت الصَّغِيرُ يُدْرِكُ مَا يَحْدُثُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ عَانَى كَثِيرًا بِالْفِعْلِ، فَلَمْ يَكُنْ مَزِيدٌ مِنَ الْأَلَمِ سَيُهِمُّ؛ لِذَا لَمْ يَصِحْ كَثِيرًا.

عِنْدَمَا انْتَهَى ابْنُ الْمُزَارِعِ براون مِنْ عَمَلِهِ، وَضَعَهُ فِي صُنْدُوقٍ بِهِ فِرَاشٌ مِنَ الْقَشِّ النَّاعِمِ النَّظِيفِ، وَصَحْنٌ صَغِيرٌ مِنَ الْمَاءِ كَانَ فِي مَقْدُورِهِ الْوُصُولُ إِلَيْهِ إِذَا مَدَّ رَقَبَتَهُ، وَحُفْنَةٌ مِنَ الْحُبُوبِ؛ وَمِنْ ثَمَّ تَرَكَهُ وَحْدَهُ. كَانَ فِي غَايَةِ التَّعَبِ وَالْإِرْهَاقِ؛ حَتَّى إِنَّهُ لَمْ يَرْغَبْ فِي فِعْلِ شَيْءٍ سِوَى أَنْ يُقَرْفِصَ وَيَنَامَ فِي الْفِرَاشِ لِيَسْتَرِيحَ. كَانَ مَا زَالَ خَائِفًا مِمَّا قَدْ يَحْدُثُ لَهُ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي غَايَةِ الْفَزَعِ كَمَا كَانَ مِنْ قَبْلُ؛ فَلَقَدْ كَانَ هُنَاكَ شَيْءٌ يَبْعَثُ عَلَى الطُّمَأْنِينَةِ فِي لَمْسَةِ ابْنِ الْمُزَارِعِ براون الرَّقِيقَةِ. لَمْ يَفْهَمْ مُطْلَقًا لِمَ كَانَتْ هَذِهِ الشَّرَائِطُ تَلُفُّ جَسَدَهُ، وَلَكِنَّ قَدْرًا كَبِيرًا مِنَ الْأَلَمِ قَدْ زَالَ مِنْ جَنَاحِهِ الْمَكْسُورِ.

لِذَا شَرِبَ الْمَاءَ بِامْتِنَانٍ، فَلَقَدْ كَانَ ظَمْآنَ لِلْغَايَةِ، ثُمَّ اسْتَلْقَى فِي رَاحَةٍ قَدْرَ الْإِمْكَانِ، وَعَلَى الْفَوْرِ اسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ. أَجَلِ، اسْتَغْرَقَ فِي النَّوْمِ؛ فَقَدْ أَنْهَكَهُ الْخَوْفُ وَالْأَلَمُ، لِدَرَجَةِ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُبْقِيَ عَيْنَيْهِ مَفْتُوحَتَيْنِ. كَانَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون يَذْهَبُ لِيَطْمَئِنَّ عَلَيْهِ عِدَّةَ مَرَّاتٍ فِي الْيَوْمِ، وَكَانَ يُعَامِلُهُ بِلُطْفٍ شَدِيدٍ لِلْغَايَةِ، وَيُصَفِّرُ لَهُ بِرِفْقٍ حَتَّى زَالَ الْخَوْفُ مِنْ قَلْبِ الطَّائِرِ الصَّغِيرِ.

فِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي، شَعَرَ بوب وايت الصَّغِيرُ بِتَحَسُّنٍ كَبِيرٍ؛ حَتَّى إِنَّهُ اسْتَيْقَظَ مُبَكِّرًا بِنَشَاطٍ، وَتَنَاوَلَ وَجْبَةَ الْحُبُوبِ الْمَتْرُوكَةِ لَهُ، لَكِنْ بَدَا لَهُ مِنَ الْغَرِيبِ لِلْغَايَةِ عَدَمُ قُدْرَتِهِ عَلَى تَحْرِيكِ جَنَاحَيْهِ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ تَحْرِيكَهُمَا وَلَوْ قَلِيلًا؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون كَانَ قَدْ رَبَطَهُمَا بِحَيْثُ لَا يُحَاوِلُ الطَّيَرَانَ، وَهَذَا لِيَتَحَسَّنَ الْجَنَاحُ الْمَكْسُورُ، وَيُصْبِحَ قَوِيًّا مُجَدَّدًا.

أَدْرَكَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون أَنَّ بوب وايت الصَّغِيرَ لَنْ يَشْعُرَ بِالسَّعَادَةِ فِي الْمَنْزِلِ؛ لِأَنَّهُ قَدِ اعْتَادَ عَلَى الْعَيْشِ بِالْخَارِجِ طَوَالَ حَيَاتِهِ؛ لِهَذَا صَنَعَ لَهُ فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ قَفَصًا مِنَ السِّلْكِ، وَفِي إِحْدَى نِهَايَتَيْهِ مَخْبَأٌ صَغِيرٌ وَجَمِيلٌ لِلْغَايَةِ مِنْ أَغْصَانِ الصَّنَوْبَرِ؛ حَيْثُ يُمْكِنُ لِبوب وايت الصَّغِيرِ أَنْ يَخْتَبِئَ دَاخِلَهُ، وَوَضَعَ صَحْنًا نَظِيفًا صَغِيرًا مِنَ الْمَاءِ فِي الْقَفَصِ وَنَثَرَ الْحُبُوبَ عَلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ وَضَعَ بوب وايت الصَّغِيرَ فِيهِ.

وَمَا إِنْ تَرَكَهُ وَحْدَهُ، حَتَّى جَرَى بوب وايت الصَّغِيرُ هُنَا وَهُنَاكَ لِيَرَى مَنْزِلَهُ الْجَدِيدَ، وَقَدْ كَانَتْ قَدَمَاهُ عَلَى مَا يُرَامُ.

فَكَّرَ فِي نَفْسِهِ بَعْدَ أَنْ تَجَوَّلَ فِي الْقَفَصِ: «لَا أَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْ هُنَا، وَلَكِنْ لَنْ يَسْتَطِيعَ أَحَدٌ الدُّخُولَ كَذَلِكَ؛ لِهَذَا أَنَا فِي أَمَانٍ، وَهَذَا شَيْءٌ يَجِبُ أَنْ أَكُونَ مُمْتَنًّا لَهُ. هَذَا الْمَخْلُوقُ ذُو السَّاقَيْنِ لَا يُشْبِهُ إِطْلَاقًا صَاحِبَ الْعَصَا النَّارِيَّةِ الْمُخِيفَةِ؛ لَقَدْ بَدَأْتُ أُعْجَبُ بِهِ. لَيْسَ عَلَيَّ الْخَوْفُ مِنَ الثَّعْلَبِ ريدي أَوِ الْقَيُّوطِ الْعَجُوزِ أَوِ الصَّقْرِ أحمر الذيل. أَعْتَقِدُ أَنَّ هَذَا الْمَكَانَ أَفْضَلُ لِي مِنَ الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؛ حَيْثُ إِنَّنِي لَا أَسْتَطِيعُ الطَّيَرَانَ، رُبَّمَا عِنْدَمَا يُشْفَى جَنَاحِي سَيَسْمَحُ لِي بِالرَّحِيلِ. تُرَى أَيْنَ أَبِي وَأُمِّي وَأَشِقَّائِي؟ وَهَلْ أَصَابَتْهُمُ الْعَصَا النَّارِيَّةُ الْمُخِيفَةُ بِجُرْحٍ؟»

الفصل الثاني والعشرون

يَوْمٌ سَعِيدٌ لِعَائِلَةِ بوب وايت

يَا مَنْ تُسْعِدُ غَيْرَكَ
لَا شَيْءَ يُوفِيكَ حَقَّكَ!

ذَاتَ يَوْمٍ، وَبِمَحْضِ الْمُصَادَفَةِ، طَارَ بوب وايت إِلَى شَجَرَةٍ تَمَكَّنَ مِنْ خِلَالِهَا مِنْ رُؤْيَةِ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ الْخَاصَّةِ بِالْمُزَارِعِ براون فِي الْأَسْفَلِ، وَهُنَاكَ رَأَى بوب الصَّغِيرَ الضَّائِعَ وَتَحَدَّثَ مَعَهُ، ثُمَّ طَارَ بوب وايت الْأَبُ إِلَى الْمُرُوجِ الْخَضْرَاءِ؛ حَيْثُ كَانَتْ تَنْتَظِرُهُ زَوْجَتُهُ فِي قَلَقٍ، وَقَلْبُهُ تَمْلَؤُهُ السَّعَادَةُ. كَانَتِ الزَّوْجَةُ تَتَرَقَّبُ وُصُولَهُ، وَطَارَتْ لِتُقَابِلَهُ.

صَاحَ بوب وايت: «إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ! عَثَرْتُ عَلَيْهِ فِي حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ الْخَاصَّةِ بِالْمُزَارِعِ براون.» بِالطَّبْعِ كَانَ يَتَحَدَّثُ عَنْ بوب وايت الصَّغِيرِ الَّذِي ظَنُّوا أَنَّهُ قُتِلَ.

صَاحَتِ الزَّوْجَةُ: «مَاذَا؟! مَاذَا تَقْصِدُ بِحَظِيرَةِ الدَّجَاجِ؟ مَا الَّذِي يَفْعَلُهُ هُنَاكَ؟»

شَرَحَ بوب وايت: «إِنَّ حَظِيرَةَ الدَّجَاجِ مَكَانٌ يَضَعُ فِيهِ الْمُزَارِعُ براون الْكَثِيرَ مِنَ الطُّيُورِ الْكَبِيرَةِ الْحَمْقَاءِ، وَبوب الصَّغِيرُ سَجِينٌ هُنَاكَ.»

صَاحَتِ الزَّوْجَةُ: «يَا لَهُ مِنْ شَيْءٍ مُفْزِعٍ! إِذَا كَانَ سَجِينًا، فَكَيْفَ تَقُولُ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ بِخَيْرٍ؟»

أَجَابَ بوب وايت: «لِأَنَّ الْأَمْرَ كَذَلِكَ بِالْفِعْلِ؛ فَهُوَ فِي أَمَانٍ تَامٍّ، وَمَا كَانَ سَيَنْعَمُ بِالْأَمَانِ هَكَذَا إِذَا كَانَ هُنَا مَعَنَا؛ فَهُوَ لَا يَسْتَطِيعُ الطَّيَرَانَ؛ انْكَسَرَ أَحَدُ جَنَاحَيْهِ بِفِعْلِ الطَّلْقِ النَّارِيِّ مِنَ الْبُنْدُقِيَّةِ الْمُخِيفَةِ، وَعَثَرَ عَلَيْهِ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون، وَكَانَ فِي غَايَةِ الطِّيبَةِ مَعَهُ. عَالَجَ جَنَاحَهُ؛ وَلِذَلِكَ أَنَا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَنَّهُ سَيُصْبِحُ بِخَيْرٍ مَرَّةً أُخْرَى. أَنَا وَأَنْتِ نَعْلَمُ أَنَّ بوب

الصَّغِيرَ مَا كَانَ سَيَنْجُو وَجَنَاحُهُ مَكْسُورٌ إِنْ ظَلَّ هُنَا مَعَنَا؛ كَانَ الثَّعْلَبُ ريدي أَوِ الصَّقْرُ أحمر الذيل أَوْ أَيُّ أَحَدٍ آخَرَ سَيَحْرِصُ كَثِيرًا عَلَى الْإِمْسَاكِ بِهِ عَاجِلًا أَمْ آجِلًا، وَلَكِنَّهُمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ ذَلِكَ هُنَاكَ؛ حَيْثُ إِنَّهُ فِي قَفَصٍ مِنَ السِّلْكِ، لَا يَسْتَطِيعُ الْخُرُوجَ مِنْهُ، وَلَكِنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ الدُّخُولَ كَذَلِكَ؛ وَلِذَا فَهُوَ فِي أَمَانٍ. أَصْبَحَ هُوَ وَابْنُ الْمُزَارِعِ براون صَدِيقَيْنِ حَمِيمَيْنِ، لَقَدْ رَأَيْتُهُ بِنَفْسِي يُطْعِمُهُ بِيَدَيْهِ. أَتَدْرِينَ؟ أَنَا أَرَى أَنَّ هَذَا الْوَلَدَ صَدِيقٌ حَقِيقِيٌّ لَنَا بِحَقٍّ، وَنَسْتَطِيعُ أَنْ نَثِقَ بِهِ.»

قَالَتِ الزَّوْجَةُ: «إِنَّ الْأَرْنَبَ بيتر يَقُولُ ذَلِكَ دَائِمًا، وَلَكِنْ بَعْدَ كُلِّ مَا عَانَيْنَاهُ مِنْ تِلْكَ الْمَخْلُوقَاتِ، لَا أَسْتَطِيعُ إِقْنَاعَ نَفْسِي بِأَنَّ أَيًّا مِنْ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ ذَاتِ السَّاقَيْنِ جَدِيرٌ بِالثِّقَةِ. يَجِبُ أَنْ أَتَأَكَّدَ بِنَفْسِي.»

أَجَابَهَا بوب: «سَتَتَأَكَّدِينَ. اذْهَبِي إِلَى هُنَاكَ صَبَاحَ غَدٍ وَسَأَمْكُثُ أَنَا مَعَ الصِّغَارِ لِلْعِنَايَةِ بِهِمْ؛ فَأَنَا أَخْشَى إِذَا تَرَكْنَاهُمْ وَحْدَهُمْ أَنْ يَتَهَوَّرَ أَحَدُهُمْ أَوْ يَتَحَامَقَ وَيَذْهَبَ إِلَى حَيْثُ يَتَوَاجَدُ أُولَئِكَ الصَّيَّادُونَ أَصْحَابُ الْبَنَادِقِ الْمُرِيعَةِ.»

لِهَذَا فِي الصَّبَاحِ التَّالِي ذَهَبَتْ زَوْجَةُ بوب وايت لِرُؤْيَةِ بوب الصَّغِيرِ، وَرَأَتْ مَا قَدْ رَآهُ زَوْجُهَا فِي الْيَوْمِ السَّابِقِ، وَعَادَتْ وَهِيَ تَشْعُرُ بِارْتِيَاحٍ شَدِيدٍ؛ فَقَدْ أَدْرَكَتْ أَنَّ زَوْجَهَا عَلَى حَقٍّ، وَأَنَّ ابْنَ الْمُزَارِعِ براون أَثْبَتَ أَنَّهُ صَدِيقٌ مُخْلِصٌ، وَلَيْسَ هُنَاكَ سَبَبٌ يَدْعُو لِلْخَوْفِ مِنْهُ. فِي الْيَوْمِ التَّالِي، اصْطَحَبَ بوب وايت زَوْجَتَهُ وَصِغَارَهُمَا بِالْكَامِلِ إِلَى هُنَاكَ حَيْثُ قَامَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بِنَثْرِ الطَّعَامِ لَهُمْ خَارِجَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ؛ حَتَّى لَا تَسْتَطِيعَ الدَّجَاجَاتُ الْحُصُولَ عَلَيْهِ، وَكَانَ بوب ذَكِيًّا بِمَا يَكْفِي لِيُدْرِكَ أَنْ لَا أَحَدَ مِنَ الصَّيَّادِينَ يَجْرُؤُ عَلَى الْبَحْثِ عَنْهُمْ بِالْقُرْبِ مِنْ مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون. ذَهَبُوا صَبَاحًا تِلْوَ صَبَاحٍ إِلَى هُنَاكَ لِلْحُصُولِ عَلَى فَطُورِهِمْ، وَلَمْ يَطِيرُوا بَعِيدًا عِنْدَمَا كَانَ يَأْتِي ابْنُ الْمُزَارِعِ براون وَالْمُزَارِعُ براون بِنَفْسِهِ لِيُشَاهِدَاهُمْ وَهُمْ يَأْكُلُونَ.

وَذَاتَ صَبَاحٍ حَدَثَ شَيْءٌ رَائِعٌ، أَخْرَجَ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون بوب الصَّغِيرَ مِنَ الْقَفَصِ. بَدَا بوب الصَّغِيرُ فِي أَحْسَنِ حَالٍ كَمَا كَانَ فِي السَّابِقِ؛ فَلَقَدْ نَزَعَ الصَّبِيُّ الشَّرَائِطَ الَّتِي لَفَّهَا حَوْلَ جَنَاحِهِ الْمَكْسُورِ، وَأَصْبَحَ جَنَاحُهُ عَلَى مَا يُرَامُ. أَخَذَهُ ابْنُ الْمُزَارِعِ براون خَارِجَ حَظِيرَةِ الدَّجَاجِ وَوَضَعَهُ عَلَى الْأَرْضِ.

قَالَ: «هَا أَنْتَ ذَا! الْآنَ اذْهَبْ وَانْضَمَّ إِلَى أُسْرَتِكَ، وَابْتَعِدْ عَنِ الصَّيَّادِينَ فِي الْمُسْتَقْبَلِ.»
ضَحِكَ الصَّبِيُّ عِنْدَمَا شَاهَدَ بوب الصَّغِيرَ وَهُوَ يُهَرْوِلُ لِيَنْضَمَّ إِلَى أَشِقَّائِهِ.

يَا لَهُ مِنْ هَرْجٍ وَمَرْجٍ سَادَ عِنْدَمَا رَآهُ أَشِقَّاؤُهُ! وَفَجْأَةً طَارَ بوب وايت إِلَى أَعْلَى عَمُودٍ وَهُوَ يُصَفِّرُ وَيُرَدِّدُ بِكُلِّ قُوَّتِهِ: «بوب وايت! بوب وايت! بوب وايت!» لَقَدْ أَرَادَ فَقَطْ أَنْ يُظْهِرَ لِلْعَالَمِ الْكَبِيرِ قَدْرَ السَّعَادَةِ الَّتِي تَمْلَأُ قَلْبَهُ بِالرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ عَادَةً لَا يُصَفِّرُ فِي هَذَا الْوَقْتِ مِنَ الْعَامِ.

وَهَكَذَا اعْتَادَ بوب وايت وَأُسْرَتُهُ الذَّهَابَ إِلَى مَنْزِلِ الْمُزَارِعِ براون لِلْحُصُولِ عَلَى فَطُورِهِمْ، وَلَمْ تَتَسَنَّ لِأَيِّ صَيَّادٍ قَطُّ الْفُرْصَةُ لِبَثِّ الذُّعْرِ وَالْحُزْنِ بَيْنَهُمْ.

هنـــداوي